جامعـــــة عمـــار ثليجي بالأغـــــواط
كـــــلـــية العلوم الإنســـــانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الموضوع:

الحركة التبشيرية في الجزائر

(1860-1916م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر في التاريخ

تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

من إعداد
- معطاالله كلثوم
- بارود غزالة

إشراف:
- أ. بوقرين عيسى

لجنة المناقشة

الأستـــاذ	.....علاق محمد.....	رئيسا
الأستـــاذ	.....بوقرين عيسى.....	مشرفا
الدكتـــور	.....سعودي أحمد.....	مناقشا

السنة الجامعية 2017/2016

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر:

ابدا بحمد الله سبحانه وتعالى وأثني عليه لتوفيقه لي في انجاز هذا الموضوع , كما نقدم بالشكر الجزيل الى الاستاذ عيسى بوقرين والاستاذ محمد علاق والاستاذ كعبوش بومدين لإشرافيهما علي في انجازنا هذه المذكرة ,والتي تميزت بتوجيهاتهما الدقيقة وملاحظاتهما القيمة .

كما نقدم بالشكر الى :

- المشرف على المركز الثقافي للوثائق الصحراوية .

- مدير متحف المجاهد بالأغواط .

- والى المراكز التالية :

- مكتبة البحث في المركز الثقافي للوثائق الصحراوية ccds بغرداية.

- المتحف البلدي بالأغواط.

- حصن شارل دو فوكو بتمنراست.

- الحظيرة الثقافية بتمنراست.

كما نتقدم بالشكر الى جميع أساتذتنا الذين درسونا في مرحلة الليسانس والماستر ,كما نقدم بالشكر لجميع من اعاننا في هذا الموضوع ولو بكلمة طيبة.

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا

اهدي ثمرة جهدي إلى من قال فيهما سبحانه وتعالى

ولا تقل لهما أف ولا تنهر هما وقل لهما قولا كريما

الوالدين الكريمين

الى من تزرع بهم بسمتي في الحياة اخواتي

لونجه واولادها فرح واسامة مريم عبد العزيز عبدالقادر واخص بالذكر

حاج أبو القاسم الى جدتي اطال الله عمرها

الى جميع الأهل والأقارب

الى كل الاساتذة الذين درسوني خلال المشوار الدراسي

الى جميع الاحبة والأصدقاء وأخص بالذكر

نصيرة خديجة فوزية لبنة بنينه سعيدة هجيرة صارة طش زينب سعاد

حليمة كريمة خيرة مليكة صارة حلقومة شمينار كلثوم وابنتها تاتينا

عماد محتي ميمي مصطفى تحتار عبدو معمر جيمي عطالله الشارف

عادل جودي سفيان سفيان عبد الغاني ياسين دودي

إلى جميع أصدقاء الفيسبوك

وإلى كل من غفلت عن ذكره

Http://maomao520.ye

مقدمة

لقد كان احتلال الجزائر سنة 1830م حدثا كبيرا أدى إلى تمركز العنصر الفرنسي فيها لمدة 132 سنة، لتصبح الجزائر ميدانا للتنصير الذي كان هدفا منذ قدوم الحملة الفرنسية إلى الجزائر وهدا بقيادة الجنرال دي برمون الذي اصطحب معه 14 قسيسا لنشر الديانة المسيحية.

ولقد نشطت بالجزائر عدة جمعيات مسيحية قبل وبعد الاحتلال ، لافتداء الأسرى وغيرها من الأعمال ، ثم جاءت جمعيات أخرى بعد الاحتلال كجمعية اليسوعيين التي رغم أنها من الفرق المغضوب عليها في فرنسا، إلا أنها استطاعت الاتفاق مع حكام الفرنسيين في الجزائر ومنهم الكردينال لا فيجري ، ومع تولي هدا الاخير اسقفه الجزائر سنة 1867م تحولت الجزائر تحولا كبيرا في ميدان التنصير بحيث في عهده تأسست جمعية الاباء البيض في عام 1868م، ثم تلتها فرقة الأخوات البيض، لما لهن من قدرة على التوغل في الأوساط النسائية ما أدى الى تقدم التنصير وتطوره ليس في شمال الجزائر فحسب وإنما في صحرائها الكبرى وكنموذج تطرقنا إلى منطقة الهقار .

وعلى هدا الإطار اخترنا ان يكون عنوان مذكرتنا على النحو الاتي :

الحركة التبشيرية في الجنوب الجزائري –منطقة الهقار نموذجا– 1860–1916م .

2–اسباب اختيار الموضوع :

أ– ذاتية :

تعود بداية اهتمامنا بموضوع التنصير أو التبشير إلى موضوع بحث ناقشنه مع الأستاذ علالي محمود وهو تبشير في المنطقة غرداية .

وهو أيضا من المواضيع التي تستهوي الباحث وتدفعه الى استقراء .رغبتنا في ولوج المواضيع التي تحتاج دراسة مركزة فرغم صعوبة الموضوع الا أن الشوق والفضول دفعنا

الى التطرق له .

ب- الموضوعية :

- نظرا لأهمية الفكرة الدينية في تاريخ المجتمعات، فقد ارتأينا معالجة الموضوع لتبين حجم تأثير المنصرين ذو فكرة وعقيدة مختلفة، عن المسلمين وعن المجتمع الصحراوي ولأهمية المدنية ولغناها العقيدي والتاريخي والثقافي.

3- الإشكالية:

نظرا لطبيعة الموضوع المعالج المتمثل في تبيين نشاط المنصرين المتمثلين في فرقة الآباء والأخوات البيض في صحراء الجزائرية وعلى خصوص منطقة الهقار فقد طرحنا الإشكالية التالية:

مدى نجاح الاباء والأخوات البيض في مهمتهم التنصيرية في الصحراء .

تتركز إشكالية الدراسة في الإجابة عن التساؤلات الأتية :

-ما هية التبشير و التنصير ؟

-كيف كان نشاط اسقفيه الجزائر والجمعيات المسيحية التي عملت تحت لوائها قبل و بعد 1874م؟ ولمادا سنة 1874م

-فيم تمثل نشاط الكاردينال لا فيجري التنصيري ؟

-ما هي جمعية الآباء و الأخوات البيض ؟

-كيف امتد وتطور التنصير في الصحراء الجزائرية وبتحديد منطقة الهقار؟

-فيم تمثل نشاط المنصرين في الجنوب ؟

-كيف كان رد فعل السكان الجنوب من الاباء البيض ؟

4- الهدف من الموضوع :

الهدف من الدراسة الموضوع هو محاولة تبيان كيفية وصول الآباء والأخوات البيض إلى منطقة الهقار مع بيان مراكز استقرارهم وميادين نشاطهم وتتبع ردود فعل السكان على نشاطهم وإبراز مدى نجاحهم في مهمتهم التنصيرية .

5- المنهج المتبع :

نظرا لموضوع الدراسة المعالج الذي يتطلب جهدا كبير، ولمعالجة الكثير من الإشكاليات والحوادث التاريخية ومدى ترابطها وتفسيرها واستخلاص النتائج فإننا تتبعنا المنهج التاريخي التحليلي المناسب للموضوع .

6- عرض مخطط الموضوع :

وقسمنا الموضوع إلى مقدمه وثلاثة فصول وخاتمة ثم ذيلنها بملاحق توضحيه : وجاء الفصل الأول بعنوان : تطور الحركة التنصيرية في الجزائر .

الذي قسمناه الى ثلاثة مباحث وكل مبحث الى ثلاثة عناصر المبحث الأول كان حول، تطور الحركة التنصيرية قبل وبعد 1874م . تطرقنا فيه كتمهيد للموضوع عن مفاهيم التبشير والتنصير وأيهما أصلح للاستعمال على ضوء النشاط الديني الذي عرفته الجزائر .

ثم تطرقنا أيضا إلى ميلاد أسقفه الجزائر وتبينها للتنصير أبرزنا فيها الجمعيات المسيحية الناشطة في عهدها .

المبحث الثاني عالجنا فيه نشاط الكاردينال لا فجري في الجزائر وعلاقته بالتنصير مند مجيئه على رأس أسقفه الجزائر في سنة 1867م ثم دوره التنصيري في مجاعة 1867-1868م وكذا نشاطه بمنطقة القبائل .

المبحث الثالث فكان عن إنشاء لا فيجري لجمعية الآباء البيض مبتدئا بتعريف للجمعية

واختلافها عن الجمعيات التي كانت تنشط بالجزائر آنذاك ثم تطرقت إلى تنظيمها و أخيرا ميادين نشاطها بعد كل تنصيب لها في أي منطقة من المناطق الجزائر المذكورة .

اما الفصل الثاني: فعنوانه احتلال الصحراء وتنصيرها الذي قسمته الى ثلاثة مباحث وكل مبحث الى عناصر أولا امتداد التنصير الى الصحراء تطرقت فيه إلى إنشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء بالأغواط التي اعتبرت أولى محطات تنصيب المهمات التنصيرية في الصحراء منها فرقة الاباء والأخوات البيض الذين نشطوا في الاغواط و تأسيس مركزهم فيها وقد تزامن ذلك مع وصولهم الى ورقلة .

المبحث الثاني فكان عن التطور التنصير في الصحراء من خلال إنشاء لا فيجري لفرقة إخوان الصحراء المسلحين ببسكرة .

المبحث الثاني كان عنوانه شارل دو فوكو وسيلة للغزو الروحي والعسكري وهدا الاخير سوف يكون له تأثير على سكان الطوارق فيما بعد .

اما الفصل الثالث: كان تحت عنوان وصول التنصير الى منطقة الهقار بعد الاحتلال . تطرقنا فيه إلى ثلاثة مباحث وعناصر. المبحث الأول احتلال الفرنسي لمنطقة الهقار تطرقنا فيه الى الاهتمامات الاولى للغرب لاحتلال الصحراء كما تطرقنا في العناصر الموالية مراحل احتلال الفرنسي لمنطقة الهقار والتي بدورها قسمنها لمرحلتين الاولى افشال البعثات الاستطلاعية والاكتشافية والثانية عن مقاومة والتغلغل عسكري الفرنسي في الجنوب الجزائري .

أما المبحث الثاني تكلمنا عن التنصير في منطقة الهقار، وثالثا واخيرا تكلمنا على نتائج وردود فعل السكان على نشاط الاباء والأخوات البيض، وتكلمنا فيه عن برج دو فوكو ومنصرون الهقار وأخير رد فعل السكان من الاباء والاخوات.

7- أثرينا مذكرتنا بمجوعة من الملاحق والوثائق الأرشيفية .

الصعوبات:

8- لا يكاد يخلو أي بحث أكاديمي من العراقيل والصعوبات ، ولعل من أهمها التي صادفتنا تتمثل في صعوبة ترجمة المصادر والمراجع الأجنبية وكيفية التعامل مع نصوصها التي تظهر نشاط التنصير على أنه فعل أنساني وحضاي ، كما صادفتنا بعض النصوص الصعبة التي تتميز بلغة ذلك الوقت مما يستدعي جهدا إضافيا في معرفة مقصد المؤلف من كتابته ، إضافة إلى شح المراجع العربية المتحدثة عن التنصير في الجزائر وفي الصحراء ومنطقة الهقار خاصة

9- الدراسات السابقة:

هدا الموضوع سبق التطرق له في رسالة النيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع سنة 2009م أعداد طالبة: عيسى أو عيسي وسكوتي زينب وكان عنوانها : الهوية الثقافية الجزائرية والمراكز التعليمية لآباء البيض. والتي كانت دراستها ميدانية أكثر منها تاريخية ، من خلال دراسة مدى تأثير المركز الثقافي للوثائق الصحراوية على سمات وأنماط المتعلمين، ومدى انعكاسه على مقومات وهويتهم الثقافية والتي اعتمدوا فيها من أرشيف الفاتيكان بروما .

وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف بوقرين عيسى، وكذا الأستاذ المساعد علاق محمد، على قبول إشرافهما ومساعدتهما لنا على هدا الموضوع، كما نرجو أن يكون موضوعنا الذي أنجزناه قد ساهم في إعطاء لمحة عن التنصير في الجزائر عامة والصحراء خاصة، التي هي موضوع معرض للنقص كساير الأعمال البشرية الأخرى.

الفصل الأول
تطور الحركة التنصيرية
في الجزائر قبل احتلالها

أولا : مراحل تطور الحركة التنصيرية قبل وبعد 1874 م

أ- ماهية التبشير والتنصير.

ب - ميلاد أسقفية الجزائر والتنصير.

ج -الجمعيات المسيحية التي توافدت إلى الجزائر بعد الاحتلال.

ثانيا :نشاط الكاردينال لافيجري في الجزائر"1867-1892 " م

أ- تعريف بالكاردينال لافيجري وعلاقتها بالتنصير.

ب- دور لافيجري التنصيري في مجاعة (1867-1868)م.

ج- التنصير في منطقة القبائل .

ثالثا : نشأة جمعية الآباء والأخوات البيض.

أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض .

ب-تنظيم الآباء والاخوات البيض .

ج- ميادين نشاط الآباء البيض .

أولا : مراحل تطور الحركة التنصيرية قبل وبعد 1874 م

أ- ماهية التبشير والتنصير

كتب الكثير من الدراسات عن نشاط الديني، الذي قام به الاحتلال الفرنسي في الجزائر ومن خلاله الرهبان الذين قدموا إلى الجزائر بعد الاحتلال لنشر الدين المسيحي ,ولكنها اختلفت في المسميات حيث وصفت جلها تقريبا ذلك النشاط بالتبشير، في حين ذكرت بعض المراجع لفظ التنصير فأيهما أصح ولبيان نستعرض مفهوم اللفظين وأيهما أصح لوصف ذلك النشاط.

التبشير كالإبشار والبشور والاستبشار والبشارة الاسم منه كالبشرى وما يعطه المبشر البشارة المطلقة لا تكون إلا بخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيدة كقوله تعالى" فبشرهم بعذاب أليم"، والتبشير في عرف اللغة مختص بالخبر الذي يفيد السرور إلا أنه بحسب أصل عبارة عن الخبر الذي يؤثر في البشارة تغيرا، وهذا يكون للحزن أيضا[1] .

ورد مصطلح التبشير عدة معاني في القرآن الكريم، حيث وردت البشارة بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى " ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد " سورة الصف الآية رقم06، كما وردت بشارة الأنبياء في قوله تعالى " كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " البقرة الآية رقم 213 كما وردت البشارة بالخير في قوله تعالى "وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به " آل عمران رقم 126، كما وردت البشارة في قوله تعالى "فبشرناه بغلام حليم " الصافات الآية رقم 101.

كما وردت البشارة للدلالة على الفرح في قوله تعالى" فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب " هود الآية رقم71.

وقد ورد لفظ التبشير كدلالة على خبر الحزن، حين وردت البشارة بالسوء عند الجاهلين في قوله تعالى "واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى

[1] – أبادي فيروز، القاموس المحيط، ج1، توزيع مكتبة النوري، دمشق، سوريا، ص 373.

من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون " النحل الآية رقمي .59-58 كما وردت البشارة بالعذاب في قوله تعالى" وبشر الذين كفروا بعذاب أليم " التوبة الآية رقم3.[1]

إن لفظ التبشير هو اشتقاق من ناحية وتعريف من ناحية أخرى فأما الاشتقاق " Evangélisation" يتركب من عنصرين "EV" بمعنى الخير الطيب، أما العنصر الثاني بمعنى الملاك المرسل الحامل للخبر الطيب فمن هنا جاء معنى التبشير[2].

والتبشير هو الدعوة بما جاء به الإنجيل " كتاب التبشير " من عقائد وتعاليم، أي حمل الناس بطريقة أو بأخرى كأفراد أو كجماعات من الوثنية أو الإسلام أو البوذية أو غيرها إلى العقيدة المسيحية.

ويطلق المسيحيون لفظ " المبشرون " على الدعاة إلى ملتهم، حيث أن الدعوة إلى الدين من مبتكراتهم، ولم تعرف قبل تاريخهم حيث أثر في الأديان القديمة، ويصعد تاريخ التبشير إلى حواريي عيسى عليه السلام في الأرض الناس إلى ملتهم بقوله كما ورد في انجيل يوحنا ومتى كما أرسلني " أبي" أنا أرسلكم ... اذهبوا فعلموا الأمم قاطبة وعمدوهم باسم " الأب " و "الابن " والروح القدس وسأكون معكم أبد الدهر، لذا فقد جاءت تسمية الإرساليات أو المرسلين بالتبشير والمبشرين بواسطة المترجمين العرب المسيحين من لبنانين و غيرهم[3].

لقد تطور مفهوم التبشير، حيث أصبح عملية ثقافية واسعة، تستهدف اخراج المسلم من المفاهيم والقيم الإسلامية، وإدخاله في دوامة الفكر التبشيري، وصهره على مفاهيم الوثنية والمادية والعلمانية... الخ . فتح الطريق أمام فكره ليتقبل كل ما تطرحه الليبرالية

---

[1] – محمد بسام رشدي الزين، المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، مج 1، ط2، دار الفكر دمشق، سوريا 1417هـ 1996 م، ص ص 192-194.

[2] – عثمان الكعاك :التبشير وخطره على التماسك الاجتماعي للمسلمين، ندوة الاصالة، مجلة الاصالة، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1391هـ -1973 م، ص 118.

[3] – عثمان الكعاك :التبشير والتخطيط التبشيري، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي تيزي وزو، مج 3 منشورات وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية / مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1395 هـ / 1975 م، ص 1133.

والماركسية[1]، كما أن المعركة بين المبشرين وبين الأديان غير النصرانية ليست معركة دين، بل معركة في سبيل السيطرة السياسة والاقتصادية[2].

وهذا ما يدفعنا إلى تعريف علم التبشير هو دراسة جميع العلوم التي تساعد المبشر على أداء وظيفته التبشيرية وهذا يتلخص في:

- التعرف على لهجات ولغات الأمم والشعوب المعينة بالتبشير، التي ترمي إلى هدفين:

- **الهدف الأول:** معرفة اللهجة وهدا يؤدي لسهولة القيام بعملية التبشير، والاعجاب بالمبشر من حيث أنه يعرف الفصحى والعامية.

- **الهدف الثاني:** معارضة لغة بلغة كالعربية بالبربرية حتى يحصل تحطيم العربية التي هي لغة القرآن والحديث، والاهتمام بالبربرية باعتبار أنها لغة السكان الأولين وأن لها مقومات وفصاحة وبلاغة.

- **معرفة الأديان:** حتى يمكن التلاعب ومعرفة تاريخ الشعوب لدس الدسائس الانفصالية ودسائس تحطم القيم.

- دراسة نفسية الشعوب[3].

- **تعلم وسائل وطرق الدعاية:** حتى ينبثوا في جميع الأوساط المناطق الجزائرية.

- البحث عن نقاط الضعف في المسلمين ونسبتها إلى الاسلام بنفسه.

- المقارنة بين عظمة البلاد في العهد الأوروبي وانحطاطها في العهد الإسلامي[4].

---

[1] – أحميدة عميراوي وآخرون : السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844–1916م، مطبعة دار الهدى، عين مليلة الجزائر 2009 م، ص ص 101–102.

[2] – مصطفى خالد وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط5، المكتب العصري، بيروت، لبنان، 1973م، ص 45.

[3] – الكعاك عثمان، المرجع السابق، التبشير والتخطيط التبشيري، ص ص 1142–1144.

[4] – نفس المرجع، ص ص 1152–1154.

أما كلمة التنصير فهي مشقة من كلمة نصر والتنصير :أي جعل الشخص نصرانيا، وقد جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :كل مولود على الفطرة حتى يكون أبواه اللذان يهودانه أو ينصرانه[1].

واصطلاحا : ترادف كلمة تنصير أي ارسالية تنصيرية في صقل التنصير، ولهدا كان مصطلح النصارى مصطلح قرآني أطلق النصارى على أنفسهم المسيحين بدلا عنه[2].

وفي قوله تعالى " إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصائبين " سورة البقرة رقم62 . وقد بنيت النصرانية على ثلاثة أصول أولية الخالق واحد ولكنه في وحداته مؤلف من ثلاثة أصول وهي "الأب" و" الابن " والروح القدس .

وقد أصبح الكثير من مفكري الإسلام يفضلون كلمة التنصير على التبشير. أي بشارة، خاصة بالنسبة للمسلم ذو الإيمان بالتوحيد الخالص . ورغم تداول كلمة التبشير، إلا أن المسار التاريخي لكل منهما خاصة في البلاد العربية والإسلامية يقف على اختلافهما من حيث التطبيق العملي ان التنصير سياسة دينية هدفها نشر المسيحية، في حين أن التبشير أعم من ذلك حيث إلى نشر المسيحية وتوظيفها للتبشير بالمدنية الأوربية، وارتباطه ارتباطا وثيقا بالاحتلال الأوروبي حيث كان عاملا مساعدا على التوسع في كثير من البلدان لا سيما العربية والإسلامية منها .

مما تقدم يمكن القول أن استعمال كلمتي التبشير[3] والتنصير مختلفتان بحسب أصل الكلمة، فالتبشير لفظ لا يغلب استعماله إلا للخير، في حين أن التنصير بحسب أصلها ترجع إلى لفظ النصارى الذي أطلقه الله تعالى عليهم في القرآن الكريم .

---

[1] – جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الانصاري الافريقي و المصري المتوفي سنة 711 هـ : لسان العرب، مج 5 ر – ز، ط 2، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مراجعة : عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009 م، ص 248.

[2] – عمرواي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 99.

[3] – نعيمة ادريس : الحوار المسيحي الاسلامي بين المصداقية والتشكيك دراسة مقارنة موازنة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الابيار الجزائر، 2432 هـ –2011م، ص 126.

ب – ميلاد أسقفية الجزائر والتنصير:

لقد كان احتلال الجزائر حدثا كبيرا هز أوروبا وغيرها، فلطالما كانت هدفا للكثير من حملات الأساطيل الأوروبية وهدا من اجل ان تدخل في حسابات نابليون بونابرت [1].

ومع مجيء أسرة آل بوربون إلى الحكم في 1814 م أراد الملك الفرنسي شال العاشر أن يوجه الكنيسة إلى أهداف سياسة خارجية، منها احتلال الجزائر لتتحول فرنسا من دولة لائكيه إلى دولة مسيحية، فليس غريبا أن تدعي أن الحملة عليها ما هي الا حملة للانتقام للمسيحية، وذلك لإشغال الشعب والرأي العام الفرنسي عن المشاكل الداخلية التي تعيشها.

ولعل الجزائريون لم يكونوا يتوقعون هذا التعصب وهذا الانتقام الذي أبدته الجيوش الفرنسية وقادتها باعتبارهم أهل كتاب، حيث يقتصر الأمر على ضم أملاك الأتراك وهدم المقدسات الإسلامية من مساجد وأوقاف، والشروع في سياسة التنصير.

ولعل أول من قاد حركة التنصير في الجزائر ثم تونس في القرن 19 م، وقام بدور كبير هو الكاهن فرانسوا بورغاد 1806-1866 م [2]، الذي جاء بعد أن سمح له بذلك وزير الحربية بباريس والوكيل المدني بها، وقد اختارته إميلي دو فيالار مرشدا دينيا لفرقتها فأظهر قدراته في التنصير، فاقتراح فتح مركزا خيريا ببوفاريك، كما نال عطف المارشال فالي، الذي سلم له مسجدا صغيرا كان تابعا لمستشفى الداي ليقيم فيه[3].

---

[1] – نابليون بونابرت أو نابليون الاول (1767-1821م)، امبراطور فرنسا (1804-1815) م عرف بفتوحاته الكبيرة لأوربا وهزم هزيمة ساحقة من واترلو عام 1815م فنفي إلى جزيرة سانت هيلاند، ينظر منير البعلبكي : المورد قاموس انجليزي عربي، ط 13، دار العلم للملايين، بيروت (لبنان)، 1979م، ص 61.

[2] – الحبيب الجنحاني : حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر، مجلة الاصالة، ع 16، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1393هـ/1973م، ص 28.

[3] – خديجة بقطاش: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830-1871م،طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، ص 47.

وكان العسكريون إلى عام 1838 م، هم الذين يقومون بالشؤون الدينية أيضا، [1]حيث أسندت مصلحة المذهب المالكي خلال السنوات الأولى للاحتلال إلى أربعة كهان من الجيش، وكانت الحكومة الفرنسية تفاوض الفاتيكان على فتح أسقفية لها أدت المفاوضات إلى تعيين السيد أنطوان دوبوش أسقفا فيها سنة 1838 م، الذي وجد قبله سبعة قساوسة منهم أربعة في العاصمة واثنان في عنابة، وواحد في وهران وهم ذو النفوذ الروحي كان قد سمح لها بممارسة وظائفهم الدعائية.

ترك دوبوش في نهاية التي بقيها 1846-1839 م أعمال الكبيرة لا يمكن القيام بها لولا المساعدات التي كانت تأتيه من طرف الحكام، ومن تلك الانجازات بناء60 كنيسة ومعبدا و16 مؤسسة دينية و91 قسيسا و140اطار من النساء والرجال في الشؤون الدينية، وملجأ للأيتام، وحلقة درس، وفي ظروف قصير استطاع أن يقيم مشروع لـــ "استعادة الكنيسة الإفريقية القديمة" .

لكن هدا الاخير في نهاية عهده افلس بسبب سياسة التبذير والمغامرة التي سلكها جعلته يتهرب من الدائنين له إلى ان سجن في فرنسا عام 1852 م بزعامة نابليون الثالث.

تدخلت دولة الفرنسية بدفع الديون المترتبة عليه باعتباره كان يعمل لمشاريع تخدم مصالحها، وكان دوبوش وراء فكرة استدعاء اليسوعيين إلى الجزائر، كان الاسقف لويس انطوان بافي خليفة دوبوش في النشاط التنصيري الذي حل بالجزائر يوم10 جويلية 1948م تميز عهد بكثرة الاضطرابات وقد طال عهده من 1846 إلى 1866 م عرفت البلاد خلال ذلك تغيرات إدارية، ثورات شعبية، استيطان الأوروبيين، ومواقف من التعلم والدين الاسلامي والقضاء، وحركة هجرة جزائرية إلى المشرق، ورغم جهوده في الدعاية للكنيسية بين المسلمين وتنصيرهم عن طريق الصدقات والمداواة والورشات، ونشر اللغة الفرنسية إلا أنه فشل في ذلك[2].

[1] – سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954)م، ط1، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 1998 م، ص 108.

[2] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق، ص ص 114-115.

وخلاصة أعمال بافي أنه أكمل مشروع الحلقات الدراسية في القبة وسانت أوجين بالعاصمة، وفي عام 1850 م افتتح على حصن سانتا كروز وهران معبدا جديدا سماه معبد سيدة الخلاص، وفي عام 1854 م وضع الأساسي لكنسية السيدة الإفريقية بالعاصمة في أعلى نقطة من جبل بوزريعة المطل على البحر وجامع كتشاوة التي فن فيها سلفه وأحضر مجموعة من المعلمين والمعروفين باسم إخوة المدارس المسيحية وفتح بهم التعلم الدين ووسع منه ابتداء من عام 1854 م، وذلك في عهد المار يشال راندون كما أحضر باتفاق مع الحكومة عددا من اليسوعيين وفتح هؤلاء بعض المدارس الملاجئ في زواوة وفي غيرها باسم الأعمال الخيرية[1] .

لقد أدى الكاهن فرانسوا بوغاد دورا كبيرا في التنصير فتعيينه مرشدا دينا لفرقة إميلي دليل على المكانة التي يحظى بها، لكن دوره سيكون بشكل كبير في تونس بعد مغادرته الجزائر .

ونعتبر سنة 1838 تاريخ نشأة الأسقفية بتعين الأسقف دوبوش على رأسها، والذي قام بأعمال كبيرة في سبع سنوات، لم يستطع خليفته بافي القيام بها طيلة عهده الذي دام 20سنة، ولكن الثاني استطاع إدخال اليسوعيين إلى بلاد القبائل، والتي سيعتبرها لا فيجري مجالا خصبا للتنصير، خاصة من خلال هذه الفرقة التي سيكون لها دور كبير في عهده وهو ما سنراه في العنصر الخاص بالتنصير في منطقة القبائل .

ج –الجمعيات المسيحية التي توافدت إلى الجزائر بعد الاحتلال

عرفت الجزائر مسرحا كبيرا من الجمعيات المسيحية استقرت الكثير منها قبل الاحتلال الفرنسي في عام1830 م لافتداء الأسرى، كما استقرت بعد الاحتلال كانت أغلبها كاثوليكية، وعددا محدودا جدا من الجمعيات البروتستانتية منها الجمعيات النسائية ومنها الرجالية.

[1] – سعد الله ابو قاسم، المرجع السابق، ص 116.

يمكن تقسيم مراحل استيطانها الى مرحلتين :

المرحلة الأولى 1838-1845 م :

وفدت إلى الجزائر خلال هذه المرحلة عدة جمعيات أغلبها من تعين الأسقف دوبوش الذي عين رأس الأسقفية في عام 1838 م، وهذه الجمعيات هي :

- **اليسوعيون:**

كان الأسقف دوبوش منذ اللحظات الأولى من تعينه يطمح لفكرة استدعاء اليسوعيين إلى البلاد، إذ لم يكن لها الحق في تعاطي المناصب الرسمية لهيمنتها على الشؤون السياسية مدة طويلة إلى قيام الثورة الفرنسية، وتدخلها في السياسة كان أمرا مخفيا للساسة الفرنسيين متصورين في ذلك رجال الدين إلى المجالين : السياسي والاجتماعي .[1]

مارس اليسوعيين منذ عام 1840 م مهام القساوسة المساعدين والوظائف الكهنة بمراكز الاعتقال، وأسسوا في عام 1842 م دار اليتامى بابن عكنون، والتي كانت تضم 110طفل، واستقروا في نفس السنة بقسنطينة حيث كان لهم العلاج والارشاد بالمستشفى الإسلامي، بالإضافة إلى تكفلهم بمدرسة تابعة للبلدية حيث وصل نشاطهم حتى وهران .

كما قاموا ايضا في سنة 1847 م بفتح إكماليه بوهران على حوالي 1500 تلميذ، في الوقت الذي عرفت دار ابن عكنون للأيتام توسعا مهما بإلحاق معسكر دار لون الكائن ببوفاريك وبذلك بلغ مجموع أطفال المؤسستين 540 تلميذ، كما أنه في عام1852م أضافوا إلى منشآتهم السابقة كوليجا له نظام داخلي بالعاصمة ضم أكثر من 50 تلميذ[2].

---

[1] – المهدي البوعبدلي: آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل ر الاحتلال الفرنسي وبعده، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي تيزي وزو، مج 3، منشورات وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث قسنطينة الجزائر،1395هـ 1975م، ص 1338.

[2] – زوزو عبدالحميد : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 242.

ومن هدا نستنتج ان اليسوعيين مثلوا نواة التعليم التنصيري الأهلي في الجزائر، بحيث نجد ان اعمالهم في هذا المجال تسير في اتجاهين :الأول يتمثل في تكوين المعلمين المنصرين للتعلم التنصيري، والثاني يتمثل في تأسيس المدارس التعليم أبناء الجزائريين فيه.

- **الراهبات الثالوثيات:**

استقرين بوهران في عام 1840 م، وفتحن مدرسة وملجأ، ودار للأيتام، ضمت جميعا حوالي 160تلميذا كما وسعت الراهبات نشاطهن بإنشاء مؤسسات في مستغانم وسانت أندري وهران وسيدي بلعباس وأرزيو، بالإضافة إلى فتح مؤسسات جديدة وادارتهن بيتا لليتيمات المريضات عقليا في مسرغين قرب وهران، وقد بلغ مجموع عدد التلاميذ في مقاطعة وهران كلها 2300 تلميذ.[1]

- **أخوات العقيدة الكاثوليكية:**

أسست أخوات العقيدة الكاثوليكية المدارس والملاجئ في كل جهة، كانت لهن مؤسسات بالبليدة عام 1849م وقد بلغ الإجمالي في مقاطعة وقسنطينة 4000 تلميذ، كما أن لهن بيت للأيتام في عنابة يضم أكثر من 80 طفلا ومدارس في قالمة وملیانة وسطيف وسالت أوجين والدويرة وثنية الأحد " تيسمسيلت " فتفوقن بذلك على جميع المؤسسات الدينية[2].

- **أخوات القديس فانسان دي بول:**

حلت بالجزائر عام 1842 م بنات الإحسان التابعات للقديس فانسان دي بول اللاتي تكفلن بالخدمات في المستشفى المدني، وأسسن دار للرحمة وملاجئ وورشات صناعية وضمت هذه المؤسسات كلها570 طفلا، كما تكفلن بتسيير دار القديسة أنفوسن الواقعة بالقبة، وأسند إليهن ملجأ للعجزة في الدويرة، يبلغ عدد الأطفال المتمدرسين بمدارسهن بمقاطعة الجزائر وحدها أكثر من 2500 تلميذ.

---

[1] – زوزو عبد الحميد، المرجع سابق، ص ص 244-247.

[2] المرجع نفسه، ص138.

- **أخوات القديس يوسف:**

استقرين بالعاصمة وفي مدينة عنابة، حيث شرعن في علاج المرضى وتهذيب الأطفال[1] .

المرحلة الثانية (1867-1892):

وتوافق مرحلة تعيين الأسقف لا فيجري خلفا للأسقف بافي رأس الأسقفية، وعرفت هذه المرحلة إنشائه جمعية منصري السيدة الإفريقية أو فرقة الآباء والأخوات البيض، والفرع المسلح إخوان الصحراء المسلحين.

انتشرت بالجزائر العديد من الجمعيات الدينية لخدمة التنصير فيها، وكانت مرحلة الأسقف دوبوش من أهم المراحل التي استقرت فيها تلك الجمعيات، رغم السنين القصيرة التي قضاها على رأس الأسقفية 7 سنوات، مقارنة بخلفيته بافي ولا فيجري من بعده وأهم الجمعيات التي وفدت في عهده جمعية اليسوعيين المعروفة في فرنسا، ولكن أهم جمعية سيكون لها دور كبير في التنصير في الجزائر ولكن بطريقة مغايرة نوعا ما عن الجمعيات التي سبقتها هي جمعية منصري إفريقيا أو جمعية الآباء والأخوات البيض، التي أنشأها الكاردينال لا فيجري، وقبل الحديث عن هذه الفرقة بإعطاء لمحة حياة مؤسسها ونشاطه التنصيري وهو الأسقف لا فيجري، وذلك في العنصر الموالي.

ثانيا :نشاط الكاردينال لا فيجري في الجزائر"1867-1892 " م

أ- تعريف بالكاردينال لا فيجري وعلاقتها بالتنصير:

بعد وفاة الأسقف بافي سنة1866، ترشح لمنصبه بعض القساوسة، ولكن نظرا للمنازعات التي حصلت بينهم، اقترح الماريشال ماكماهون الحاكم العام للجزائر، اسم شال أنطوان مارسيال لا فيجري عام 1867 م الذي كان قص بفرنسا، وقد عرفه عندما كان قائدا عسكريا في احدى مناطقها، وربط معه علاقات ودية وقد وافق الحربية على هذا

[1] – زوزو عبد الحميد، المرجع سابق، ص143.

الاقتراح دون تفكير في العواقب، أما وزير الأديان ونابليون الثالث نفسه فقد أبيا تحفظهما على اسمه[1].

تخرج لا فيجري دكتوراه في الآداب واشتغل أول أستاذ للتاريخ الكنسي في جامعة السوربون، وعين في عام 1857 م مدير مدارس الشرق، حيث سلك لمعرفة العالم الشرقي وخصوصا عندما ذهب في عام 1860 م إلى سوريا لتوزيع صدقات كاثوليك فرنسا للمسيحيين، وفي عام 1861 إلى 1863 م يعين مراجع حسابات لدوار بروما ليتطلع إلى تعقيدات إدارة الكرسي الرسولي، وفي فاتح جانفي 1867 م يعين رئيس أساقفة الجزائر.[2]

عندما وصل إلى الجزائر تساءل منذ البداية كيف تظل فرنسا في الجزائر 40 سنة دون أن تنجح في تنصير المسلمين ومنذ البداية شعر ماكماهون بالحرج منه، فقد أخذ يتدخل في شؤون الادارة والعلاقات مع المسلمين، كما دخل لا فيجري الذي استغرب من سياسة الادارة في خصام مع رئيس بلدية الجزائر الذي اعتبره لائكيا " علمانيا".[3]

مثل لا فيجري خلال أعوام 1868-1892 م قمة التنصير في الجزائر حيث اعتبرها بوابة تنطلق من عملية الاستعمار في افريقيا وقد عبرت عن ذلك رسالته الموجهة إلى رهبانها يوم 5 ماي1867 م قائلا " سآتيكم إخواني الأعزاء في ساعة مشهورة في تاريخ افريقيا المسيحية ... الكنيسة وفرنسا متحدثان لإحياء أمجاد الماضي..." وقد أدى تعصبه لسياسة التنصير إلى ظهور خلاف بينه وبين المسؤولين العسكريين، التي تخص رد الفعل واندلاع ثورات جديدة، ولكنه أراد من الجيش الفرنسي أن يحمي حركات التنصير استعمل ايضا اسلوب الإدماج عن طريق التنصير. ليصبح هو الذي مثل سلطة الكنيسة في الجزائر التي فاقت السلطة السياسية والعسكرية .

---

[1] الشيخ ابو عمران، الاسقف لا فيجري ونشاطه التبشيري في واد الشلف، 119 .

[2]- Centre Culturel et de Documentation Saharienne ،Ghardaïa ،fascicule numéro: 0121 0 IIIHI ik Abd el Madjid Khezzar: Les racines du Mouvement de Christianisation du IAlrtns commentaire: G Nicolas ،P 15.

[3] – سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق، ص 120.

وبالرغم من معارضة ماكماهون سياسة المفضوحة وتهجمه على الاسلام خشية أن تؤدي إلى حرب دينية، فإنه واصل سياسته التنصيرية .

لكن دو قيدون، كان دون شك الحاكم العام الوحيد في الجزائر، الذي شجع علانية سياسة تنصير المسلمين، وتحوليهم إلى العقيدة الكاثوليكية فقد أعلنها حربا مكشوفة على المسلمين والاسلام، وإهمال المؤسسات الدينية الإسلامية، ومنع الجزائريين من أداء فريضة الحج، وهذه المواقف تسمح بتفسير سلوكه تفسيرا وافيا " لقد انقض وقتي كما صرح على الملأ في حماية البعثات الكاثوليكية في كافة بحار العالم، ولا يسعني أن قبل أن تنظمها على أرض فرنسية يجب التحلي بكثير من التخطيط واللياقة، وبذل المعروف وصالح العمل وعدم الاكتفاء بالخطب والأقوال، لكن حان أخير الوقت الذي نشرك فيه تدريجيا الشعب الذي هزمناه في الحضارة .

هذه الرخصة الرسمية الصادرة ممن أطلق عليه المعمرون بـــ **"الأميرال الكاردينال** "لقد سمحت لا فيجري بتوسيع عمله اتجاه اليتامى من أطفال الأهالي، والشروع في تنفيذ الكنسي في منطقة القبائل[1] .

وقد أعرب الحاكم العام في ذلك التاريخ عن ارتياحه " للحكمة والوطنية " اللتين برهن عليهما الأسقف وطمأن الحكومة حين قال " فيما يخص إدماج الأهالي لا يملك " لا فيجري" شيئا يمكن أن يقوم به مباشرة فالأهالي يستعصون، ولا يسمحون أن تنفذ إليهم العقيدة المسيحية، وإنه لشيء كثير أن لا يزعجونا، لقد سعى لا فيجري أيضا أن يتولى في تونس بعد احتلالها عام 1881 م لعين بذلك أول أسقف على إفريقيا، وكان مقره بقرطاجة قريبا منها غير أن الأسقف لم يكتف بهذا النشاط فيها وفي الجزائر وإذا دفعه الطموح إلى مواصلة التنصير في القارة الإفريقية كلها لوضع لانتشار الاسلام فيها حيث بلغ عدد

[1] – شارل روبير آجرون، المجتمع الجزائري في مختبر الأيدولوجية الكولونية، ط2، ترجمة وتقديم وتعليق : د محمد العيد آل خليفة، منشورات تالة، الجزائر 2013م، ص ص 97-98.

المسلمين 50 مليونا خلال القرن واحد فوافقت روما الأسقف على ذلك وعينته كاردينال أو رئيس أساقفة افريقيا في 1882 م تقديرا لعمله التنصيري[1] .

كانت جهوده تنصب حول سياسة ادماج الأهالي عن طريق التنصير، مما جعله محل تحفظ من طرف نابليون الثالث والحاكم العام ماكماهون بل حتى معارضه من القيادة العسكرية، التي لا تخص فقط من قيام الثورات بل لرؤيتها في توغل رجال الدين في أوساط لأهالي يفقد القيادة العسكرية التشريفات التي يحصل عليها استيلاءهم على هذه المناطق.

غير أن عهد الحاكم العام دو قيدون هو الذي شجعه علانية التنصيري، وهذه السياسة هي التي شجعت لا فيجري على اعتبار بلاد القبائل خير للتنصير، والذي سيبرز دوره بشكل أكبر في مجاعة عامي 1868-1867 م، الذي قام بالتقاط اليتامى من أطفال الأهالي رغم علم السلطات لذلك وهو تراه في العنصر ال موالي.

ب- دور لا فيجري التنصيري في مجاعة (1867-1868)م:

اتصفت السنوات الممتدة من 1866 إلى سنة 1868م بنكبات طبيعية كانت اقصى ما تكون على السكان الجزائريين، ولا سيما الفلاحين منهم وتتمثل تلك النكبات في الزلزال الذي ضرب مدينة البليدة وضواحيها، والذي تسبب في ضحايا كثيرين، وفي هجوم الجراد والجفاف والوباء الكوليرا والتيفوس (الحمى الصفراء).

وقد تضافرت هذه النكبات كلها فأدت إلى ظهور أزمة اقتصادية نتجت عنها مجاعة عامة في الجزائر سنة 1867 م، واستمرت إلى أواخر سنة 1868م.[2]

---

[1] - الشيخ ابو عمران ، الاسقف لا فيجري ونشاطه التبشيري في واد شلف 1867-1892م، مجلة الاصالة 83-84، س9، المجلة الثقافية الاصلية ووزارة الشؤون الدينية شعبان - رمضان 1400هـ جويلية-أوت 1980م، الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي، 20-27 شوال 1400هـ 31 أوت 7 سبتمبر 1980، الجزائر ص 57.

[2] - خديجه بقطاش، المرجع السابق، ص 101.

اسفرت هده النكبة على العديد من ضحايا، فاستغل الكاردينال لا فيجري هذه الظروف القاسية [1]، والتقط 1.753 طفلا كانت تقريبا جميع اعمارهم بين 8 إلى 10 سنوات، ومئة فقط بين 10 و14 سنه، فيما لقي 800 تقريبا حذفهم متأثرين بالحرمان أو بالتيفوس، وقد كتب فرانسوا رينو " ان جل هؤلاء الاطفال لم يكونوا يتامى، مما دفع اسرهم للاحتجاج بعد توقف المجاعة لإرجاعهم، حيث قام الأب في الكثير من الأحيان، كما قدمت في بعض الاحيان الأم أو الأخ الأكبر، وبصفة استثنائية عمه، اضافة إلى طلب المراهقين الأكبر سنا بالعودة إلى قبائلهم، فارتفع عدد العائدين إلى حوالي 200، كما أدى تسرب بعض الأطفال وموت بعضهم بسبب المجاعة والتعب إلى استقرار ما بين 720 إلى 730 طفلا من عام 1871 إلى عام 1873، ثم انخفاض العدد تدريجيا بوصول الاطفال إلى سن البلوغ، وعلى هذا السن قرر الكاردينال أن يعمدهم وأن يربيهم تربية مسيحية.

لجأ لا فيجري إلى منازل تعليم في الجزائر ومرسيليا، ومن أماكن أخرى كالمعهد اللاهوتي في سانت أوجين بالعاصمة "1869-1864" م الذي استضاف 34 منهم و62 في سانت لوران دولت في أفيرون بإقليم البيريني [2] معهد مبتدئي الرهبنة الصغير للعرب بالعاصمة 1871-1883م، الذي اعترف بـــ 15 [3] منهم، كما جمع آخرين في ملاجئ الأبيار وبن عكنون، وكتب لا فيجري رسائل إلى أوربا لتقرأ في الكنائس (فرنسا – بلجيكا – إسبانيا – بريطانيا ....)، وأرسل إليه البابا حوالي 5000 فرنك، وجمع قساوسته المال عندما جابوا المدن الجزائرية، كما أنشأ لجان لجمع التبرعات والتصرف فيها، وقيل أن هذه اللجان صرفت مبلغ 300 الف فرنك، وأرسل إليه الجيش بعض الجنود ليساعدوه على التنظيف، وأرسلوا إليه أيضا الخيام والأغطية .

---

[1] – المهدي البوعبدلي : الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، مجلة الاصالة، ع8، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة (الجزائر)، 1392 هـــ/1973م، ص 312.

[2] ينظر ملحق الصور رقم (2) : مدرسة الآباء البيض في سان لوران دولت بأفيرون.

[3] Centre Culturel et de Documentation Saharienne ،Ghardaïa ،fascicule numéro: 01 28 0 854 99 ،Maurice Borrmans: Lavigerie et les Musulmans en Afrique du Nord ،se Comprendre ،n 92/ 09- 37&e année ،Novembre 1992 ،P P7- 8.

استغل لا فيجري تواجد الأطفال في الملاجئ، ففتح بعض الورشات ليعلم البنات الخياطة والتدبير المنزلي واللغة الفرنسية، أما الأولاد فكانوا يتعلمون الأعمال اليدوية [1] .

وفي 1870 م بعث بعدد منهم إلى روما حيث تم تعميدهم[2].

وفي اليوم الثاني من شهر جويلية 1872م احتفل الكاردينال بأول زواج بين الشباب الذي كونه وعمده، وكان يحتفظ بالأسباب القديمة لهؤلاء الشباب، ويضيف إليهم أسماء جديدة أصبح فرانسوا متزوجا من بن يامين حليمة، وجان الشريف متزوجا من كارولين زهرة، وحضر الحفل الأول حوالي 300 مدعو من المتفرجين من أجل الدعاية واشاعة الاندماج والمسخ، وكان المتزوجون الجدد يجمعون بين اللباس الأوربي واللباس العربي بوضع البرنوس الأبيض على البذلة الأوربية، ووضع الشاشية على الرأس. وفي السنة الموالية عقد على خمس أزواج آخرين، وكل زوجين كان يعطيهما مفتاح البيت عن طريق القرعة، وكان هناك حوالي 250 مسكنا.[3]

وكما كتب فرانسوا رينو "سكان هذه القرتين في نهاية المطاف شكلت مجموعة معزولة، التي لم تمارس أي نفوذ" واعترف لا فيجري نفسه في عام 1878م "أن التجربة مكلفة للغاية رغم الموظفين والمال "، فرغم مساعدة المحاكم العام ماكماهون له في عملياته الأولى بواد الشلف، وأمام طموحه المفرط عدل عن مساعداته المالية عام 1874م، والغى مجلس النواب هذه المساعدة في الميزانية التي بلغت 950 ألف فرنك سابقا، وأمام هذه المعارضة كلها أرغم عن التخلي عن مشروع إنشاء قرى مسيحية أخرى.

وكان لا فيجري يخشى عليهم عادات المسيحيين السيئة من المسلمين او أن يدخلوهم الإسلام[4]، ولما سعى وخلفاؤه من بعد أن يمنحوا أراضي استعمارية، تعرض لهم المعمرون ولم يعترفوا بهم كمسيحيين، وهكذا عاش كثير من التعساء في تلك الناحية،

---

[1] – سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق، ص 124.

[2] – الشيخ أبو عمران، الاسقف لا فيجري ونشاطه التبشيري، المرجع السابق، ص 57.

[3] – سعد الله ابو قاسم، المرجع السابق، ص ص 127-128.

[4] – الشيخ أبو عمران، الاسقف لا فيجري ونشاطه التبشيري، المرجع السابق، ص ص 58-59.

يحملون أسماء مركبة كروبرت بن عبد القادر، وصاروا يسمونهم بالمتجنسين[1]، وذلك لم يمنع اندماج بعض المسيحيين الجزائريين في المجتمع الفرنسي في الجزائر أو فرنسا حيث توظفوا في مختلف القطاعات، حيث كان منهم الاطباء، ولم يبق منهم إلا 200 ساكن تقريبا في القريتين [2]، إلى أن انقرضوا قبل الحرب العالمية الثانية، حيث لم تبق منهم إلا قلة ضئيلة غادرت مع المعمرين إثر استقلال البلاد سنة 1962م.[3]

وفي خلاصة قولنا نستنتج ان مجاعة عامي 1867-1868م من ما اشد ما تكون على الاهالي الجزائريين الذين لم يكونوا يتحصلون على أي دعم إلا ما تعلق بعملية التنصير، بل تجلى في اليتامى دون غيرهم فبهم تكونت قرى مسيحية ذات طابع أهلي . وقد حصل لا فيجري على دعم كبير في الجزائر وفي الخارج، على هذين النموذجين من القريتين لما حققتاه من نجاح في تكوينهما يتامى على الطريقة النصرانية.

ج- التنصير في منطقة القبائل :

وقد اشتهرت بهذه السياسة الدولة الرومانية في العصور القديمة، وسلك نهجها الاستعمار في مختلف العصور، لا سيما في القرن 19م، وكانت هذه السياسة من الخطط التي اعتمدت عليها فرنسا لتوطيد دعائمها طيلة الاحتلال، وذلك بتشويه التاريخ، ومحاولة خلق النزاعات الاقليمية معتمدة على الكتابات التاريخية والسياسية والاجتماعية لمناطق عديدة منها منطقة القبائل[4]، فمنها كتابات القادة العسكريين كالجنرال داماس لخدمة الاغراض السياسية والدينية للوجود الفرنسي في الجزائر.

ويمكن أن نقسم اهتمامات العسكريين وغيرهم ببلاد القبائل على مرحلتين :

1- وتبدأ ما قبل عام 1858م، وهي السنة التي تم احتلالها رسميا بقيادة الجنرال راندون إلى غاية سنة 1860م.

---

[1] - البوعبدلي المهدي، المرجع السابق، ص313.

[2] - نفس المرجع، ص 60.

[3] - نفس المرجع، ص315.

[4] - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 135.

2- وتبدأ من سنة 1860م إلى سنة 1870م وما بعدها، ويمكن تصنيف هؤلاء إلى ما يلي :

أولا : العسكريون.

ثانيا : رجال الدين المسيحيون.

ثالثا : السياسيون .[1]

والمعروف تاريخيا أن هذه المنطقة عرفت خلال السنوات الممتدة من 1838 إلى 1864م 15 حملة عسكرية، كان آخرها الحملة التي جرت فيها معركة اشرين[2] في صيف 1857م وفيها خرج الجنرال راندون منتصرا، ولكي يعطي هذا الاخير البعد الديني لهذا النصر اصطحب معه الاسقف بافي .

وأثناء هذه المرحلة الصعبة، والظروف القاسية بعد الثورة، وما حل بها من فقر وقهر وتدمير، كشف رجال الدين عن نواياهم حينما أبدوا تعاونهم مع السلطة العسكرية، باسم سياسة المهادنة لإتمام القبضة عليها بالغزو الديني المسيحي، وتطبيق سياسة جديدة باسم العمل الخيري للوصول إلى تحقيق المخططات التنصيرية .

بعد الحاح من الاسقف بافي تم ارسال الأب اليسوعي جون باتيست كروزا [3]، إلى بلاد القبائل كمرشد ديني ومنصر بتاريخ 20 أكتوبر 1863م[4]، حيث بقي خمس سنوات دون أن يحقق الهدف رغم المصاريف الكثيرة، وحل محله يسوعي آخر اسمه فانسان فشل أيضا، ولكن كروزان حصل على دعم لا فيجري فعاد إلى مقره القديم بنفس الروح والحماس، مما جعل الضابط هانوتو الذي كان رئيس المكتب العربي بذراع الميزان يحذر بأنه من الخطأ الادعاء بأن أهل زواوة غير مسلمين عن حقيقة[5]، كما اشتكى السيد محمد السعيد بن الشريف مقدم زاوية اقبوا للنائب العام بقوة، وعزة على استفزازات لا فيجري

---

[1] – خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 138.

[2] – وقعت جنوب شرقي قرية الأربعاء ناثيراثن بتيزي وزو.

[3] – يعد كروزا أبرز المنصرين بمنطقة القبائل، وهو من جمعية اليسوع يتقن اللغة العربية وخبير في اللسانيات، ينظر : مزيان سعيدي، المرجع السابق، ص 206.

[4] – خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص 142-143.

[5] – سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق، ص 130.

حيث قال " لقد قرأت رسالة لا فيجري المؤرخة يوم 06 افريل 1868م، والتي اعلن فيها عزمه على استبدال القرآن بالإنجيل لإعادة الحياة للشعب العربي، لقد كان وقع هذه الرسالة شديدا على المسلمين، إنني رجل دين، وكمسلمي جيلي يفكرون مثلي إننا نفضل أن نرى أولادنا يموتون كلهم من ان نراهم يصبحون مسيحيين، فليس هناك مساومة في هذا الامر، لقد وعدتمونا بعدم المساس بديننا، فإذا أخلفتم هذا الوعد، وخالفتم قسمكم فإننا بالمقابل غير ملزمين بوعودنا اتجاهكم".

فقد جاء في تقرير رسمي فرنسي أنه " كادت تحدث اضطرابات يوم 12 جوان في سوق بني منقلات حيث هم حوالي 8 إلى 10 آلاف قبائلي بقتل أمين قرية، لأنه بعث برسالة إلى اليسوعيين".[1]

كان اعتقاد لا فيجري ان زواوة خير هدف للتنصير، وادعى أن كبار القرية أو الاعيان هناك يطالبون فيها بإنشاء المدارس الدينية في ناحيتهم، وكان هؤلاء انما يطالبون بمدارس فرنسية للتعليم العام، وكانوا مستعدين لدفع نفقاتها، ولكنه انشأ في قرية الواضية مدرسة دينية، وطلب لها المعلمين والموظفين من مؤسسة مدارس الشرق، التي شارك في تأسيسها قبل تعيينه في الجزائر.

أحس ايضا ببعض الرضا منهم رأى أن قبيلة بني فرح مستعدة لاعتناق النصرانية[2]، فجمع له الضباط مارتن أهل القبيلة عن طريق الأمين، وطلب منهم أن يقولوا رأيهم صراحة في الموضوع، وسألهم هل ترغبون في اعتناق الكاثوليكية ؟ وهل تقبلون أن يقيم الأب كروزا بينكم ؟ نعمل أم لا ؟.

وبعد برهة اجابوا بصوت واحد وأكيد " إننا لن نتخلى أبدا عن ديننا ولن نعتنق دينكم أبدا، بل اننا نفضل الموت على تغيير ديننا" . وأمام هذا الموقف ابتعد كروزان عن بني فرح، وأخذ يحاول مناطق أخرى محاولات مشابهة عند بني بوذراع وبني يني، غير

[1] – شاوش حباسي: من مظاهر الروح الصليبية في الاستعمار الفرنسي بالجزائر1830–1962م، مجلة الدراسات التاريخية، 120.

[2] – سعد الله ابو القاسم، المرجع السابق، ص 120.

أن هؤلاء كتبوا إلى الحكومة يقولون أنه اذا استمرت الدعاية الدينية لجماعة اليسوعيين فإنهم لا يضمنون الأمن في المنطقة.[1]

لقد أدى نشاط التنصير إلى حدوث عدة أحداث منها الهيجان الذي وقع سنة 1868م في بني منقلات ضد نشاط الجزويت[2]، ومن العوامل الرئيسية كذلك اندلاع ثورة المقراني "1870-1871" م يعود إلى رد فعل السكان ضد سياسة التنصير، واستغلال مجاعة 1868م، كما اتخذ لا فيجري سياسة رامية إلى بث الشقاق بين العرب والبربر، وقد بدأ أحد اتباع الراهب كروزا يعمل في هذا الاتجاه، ولكن سياسته باءت بالفشل الذريع، حيث يعترف الكولونيل في تقاريره باضطراب الوضع في المناطق التي نشط فيها الراهب، وبرد فعل السكان الأمر الذي أدى إلى قلق السلطة العسكرية وخشيتها من الانتفاضات.[3]

لقد مثلت منطقة بلاد القبائل منطقة لها خصوصياتها في نظر السلطات الفرنسية، التي لم تستطع اخضاعها إلا بعد عناء طويل، حيث تعاونت مع رجال الدين على بسط نفوذهم في المنطقة باسم الأعمال الخيرية، لكن رد سكان بلاد القبائل كان بالرفض على سياسة التنصير، وهو ما تجلى في ردود الأوساط العسكرية فيما بعد، حين بدأت الاضطرابات تعم بلاد القبائل، مما سيجعل الكنيسة تفكر في حلول أخرى كتركيز التنصير عليها خلافا للمناطق الجزائرية الأخرى لدواعي أن البربر كانوا على الديانة المسيحية قبل الفتح الإسلامي، ومن خلال الدراسات الاجتماعية التي بينت حفاظ هذه المنطقة على تقاليد منذ القدم لتبرز بعض الملامح كرمز الصليب على جبهات النساء عند تزيينهن .

ثالثا : نشأة جمعية الآباء والأخوات البيض

أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض :

تأسست هذه الجمعية الدينية على يد الكاردينال لا فيجري في 6 أوت 1968م، الدي افتتح أول دار رهبنة لجمعية منصري أو فرقة الآباء البيض لتكريس أنفسهم في المقام

---

[1] – نفسه، ص 122. نقلا عن مارسيل ايمريت، (تنصير المسلمين في الجزائر)، المجلة الافريقيـــة، 1960، ص ص 72-73.

[2] – نفسه، ص 123.

[3] – الجنحاني الحبيب،المرجع السابق، ص 32.

الأول لخدمة الأيتام في الدار المربعة Maison Carré [1] في 19 أكتوبر من نفس السنة، وقد سميت الفرقة بهذه التسمية نسبة إلى اللباس الابيض الذي يلبسه أعضاءها، وكان أول من تطوع فيها ثلاث رجال من المدرسة الإكليركية بالقبة [2]، وقد نصحهم بذلك الأب جيرارد اليسوعي، ولتدعيم هذه الفرقة بالجهود والمال وجه لا فيجري يوم 10 ماي 1869م نداءا إلى كل الدارسين في المدارس الإكليركية يدعوا للانضمام إلى هذه الفرقة الجديدة، والوقوف أمام تقدم الاسلام المخيف منذ بداية القرن 19م .

أدرك الكاردينال أن اللباس الديني المسيحي سيخلق هوة بين المنصرين والجزائريين لذلك أشار إلى اعضاء فرقته الجديدة أن يتقربوا من الأهالي باتخاذ عاداتهم وطرق معيشتهم ولباسهم ولغتهم [3]، ولذلك اختار لهم اللون الأبيض حيث يتكون لباس الآباء البيض من جبة طويلة مصنوعة من الصوف أو القطن يوضع فوقها برنوس أبيض اللون، ومن شاشية بيضاء توضع فوق الرأس، وتحاط الرقبة بسبحة وردية يتدلى منها صليب أبيض أو أسود وكثيرا ما كان الأب يترك لحيته طويلة[4]، وقد اعتبر هذا اللباس نوعا متقنا من الملابس التنكرية[5]، وهذه الطريقة من اللباس جعل الفرق تحتك بالسكان احتكاكا شديدا، وتتعرف على طرق حياتهم [6]، كما كان من جملة ما يمتاز به أفرادها أيضا الثقافة العليا . العلوم الدينية والفلسفية . اللغات الاجنبية كالعربية والبربرية . العلوم الاسلامية . الآثار . الرحلات .

---

[1] – ينظر ملحق الصور رقم 3: الدار المربعة بالحراش التي هي مقر تكوين الآباء البيض .

[2] - Centre Culturel et de Documentation Saharienne ،Ghardaïa ،fascicule n: 01 81 0 000 11 Voix d'Afrique: Cardinal Lavigerie 1825- 1892 ،nouvelle série ،Avril- Mai 1992 ،P 6.

[3] – مدرسة خاصة بدراسة الأمور العقائدية المسيحية، نسبة إلى الإكليروس وهم رجال الدين المسيحيون.

[4] – عمراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 109.

[5] – جورج غيرستر : الصحراء الكبرى، ط1، تعريب : خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1961م، ص 304.

[6] – خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 126.

وصور لا فيجري عظم المسؤولية لهم قائلا " إن رجال الدين قاموا بإصلاح الأراضي في فرنسا وتعميرها وتنصير سكانها بعد أن اكتسحت هجومات البربر الأراضي الأوربية، وهذا ما يجب عمله في افريقيا بعد زحف الاسلام إليها "[1].

ومع تعيين لا فيجري على رأس اسقفية الجزائر، وفي 6 أوت 1868م أقام مجمع الدعاية "المحافظة الرسولية للصحراء والسودان " فأسندت إليه، وحصل على لقب ممثل رسولي للصحراء والسودان، أي مندوب رسولي للمنظمات التنصيرية في الصحراء والسودان التابع لفرنسا، فكلف هذه المهمة إلى مؤسسة منصري إفريقيا "الآباء البيض"، التي أنشأها في الوقت نفسه تقريبا.

لقد كان لتأسيس فرقة الآباء والأخوات البيض دور في تقدم التنصير ليس في الجزائر فحسب، وإنما في صحرائها وفي افريقيا السوداء [2]، مما جعلها منظمة مرتبطة بالكنيسة الافريقية الموجودة ببوزريعة، وبالتالي فإن هذه الجمعية فرنسية الأصل أسسها الاسقف لا فيجري في الجزائر، وامتد نشاطها إلى خارج الجزائر، اختلفت عن المنظمات المسيحية الوافدة قبل وبعد الاحتلال، وتميزت عنها بطبيعة تكوينية ولباسها وعدد افرادها وعدد مراكزها وبثقافة أفرادها العالية، وتمكنهم من لغات الأهالي، الذين يراد التنصير لهم... مما جعل أمدها طويل كثيرا وبقيت في الجزائر حتى بعد تحقيق استقلالها .

ب-تنظيم الآباء والاخوات البيض :

يبدوا أن مبلغ التنصير الوصول إلى غاية، ولا يتأتى ذلك إلا بتنظيم محكم ونظام دقيق وجب أن يمر عليه كل مقبل على المهمة التنصيرية ضمن الارسالية، ومن هذه الجمعيات جمعية منصري السيدة الافريقية أو فرقة الآباء والاخوات البيض.

ولتحقيق هذه الغاية تم تأسيس علم منهاجي يسمى "التخطيط التنصيري"، ويجوز تسمية الباعثة كصناعة بأصول ومنهاج للبعثات التنصيرية، ويضيف المؤرخ التونسي

---

[1] – عميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق، ص 110.

[2] – عمار هلال : التنافس التبشيري الحديث في افريقيا السوداء، مجلة الثقافة، ع 78، س 13، محرم – صفر 1404هـ/ نوفمبر – ديسمبر 1983م، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م، ص ص 183-197.

عثمان الكعاك أن "هذا علم قديم عند النصارى قام به الحواريون وأصحاب عيسى أولا، ونظمته البابوية باعتبار أن وراثة القيام بالدعوة النصرانية راجع إلى الكرسي الرسولي "، أي أن كرسي الرسول بطرس الذي يجلس عليه البابا، يقوم بجميع الوظائف التي يقتضيها في مقدمتها التنصير وتنظيمه.[1]

المادة الأولى من التعليم في المدرسة الارسالية في اللغات . اللغة الفصحى واللهجات الموجودة في البلد، حيث أن التنصير لا يدخل مكانا ما إلا ويبدأ بإيجاد كتب النحو وفي ايجاد قواميس .

وبمعرفتهم اللغة وخاصة اللهجات يتوصلون بواسطة إلى ادخال تشكيك في قيمة اللغة الفصحى وفي الحقيقة يردون قتل اللغة العربية التي هي لغة القرآن ولغة الحديث.

العامل الثاني هو معرفة الوسط، من حيث الطبقات الاجتماعية ومعرفة الاختلافات التي بينها حتى يندسوا فيها .

والعامل الثالث هو معرفة الفولكلور حتى اذا عرفوه توصلوا بواسطته إلى اقامة ثقافة خفيفة مقام الثقافة الدسمة .

أما العامل الرابع هو علم النفس، وذلك للتعرف على ما يوجد في الأسر للتدخل في شؤونها كأن يحصل خلاف بين الزوجة وزوجها أو بين الطبقة الريفية و الطبقة المدنية.[2]

ولقد كان تأسيس جمعية منصري السيدة الإفريقية "الآباء البيض " بمثابة انطلاقا للمنصرين على أسس جديدة[3].

---

[1] – عثمان الكعاك، المرجع السابق، التبشير والتخطيط التبشيري، ص 1133–1134.

[2] – عثمان الكعاك، المرجع السابق، ندوة الأصالة، ص 125.

[3] – محمد الطاهر وعلي : التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904، في الفصل السادس الخاص بتكوين المعلمين المبشرين للتعليم التبشيري في الجزائر، ص 155.

- فصل الطلبة غير الرهبانيين الذين يختارون منها حرة في المستقبل عن الطلبة الرهبانيين في معهد البولوغين الذي يقع في سانت أوجين "ا لسمنار الصغير "[1] لأسقفية الجزائر.[2]

وقد بلغ عدد المعاهد المكونة لجمعية الآباء والأخوات البيض ثمانية وهي :

أ- ثلاث معاهد كبرى بمثابة كليات اللاهوت " السمنار الكبير " واحد في القبة، والثاني في وهران، والاخير في قسنطينة.

والسمنار الصغير والسمنار الكبير هما معهدان تابعان لأسقفية الجزائر، أما المعاهد التابعة لجمعية منصري السيدة الافريقية فهي :

ب-ثلاثة معاهد للمنصرين المبتدئين واحد منها للذكور، وكان مقره بالأبيار ثم نقل إلى الحراش، ويرجع ذلك إلى نقلهم ليتامى المجاعة إليه . أما المعهد الثاني فهو للإناث وكان مقره بالقبة ثم نقل إلى بوزريعة ثم اعيد نقله إلى القبة، واختص في النهاية بتكوين المنصيرات المشتغلات في فلاحة الارض . أما الثالث فهو للإناث أيضا ويقع في تونس "قرطاج "[3]، ويختص بإعادة المنصيرات المكلفات بالتنصير.

ت- معهدان لإعداد الآباء أحدهما يقع بطيبار والآخر بقرطاج "تونس".[4]

وقد وضع لا فيجري برنامجا صارما يدوم خمس سنوات لتكوين منصرين، يخضع اثناءها المنصر إلى تنظيم محكم يسمح له بأداء مهمته التنصيرية يمر بالمراحل التالية:

---

[1] – هو مدرسة دينية مسيحية للتعليم الثانوي يحضر فيها التلاميذ الكهنوت، كما يوجد السمنار الكبير وهو معهد ديني مسيحي كذلك يستقبل في الغالب الطلبة المتخرجين من السمنار الصغير . ويحضر الطلبة في المعهد الكبير للحصول على الرتب المختلفة في ديانتهم . ينظر : نفسه، ص 24.

[2] – نفسه، ص 159-160.

[3] – أنشأه لا فيجري بعد انتصاب الحماية على تونس في 1881م، ينظر : مزيان سعيدي، المرجع السابق، ص 69.

[4] – وعلي محمد الطاهر: التعليم التبشيري في الجزائر من 1830الى 1904 دراسة تاريخية تحليلية، منشورات دحلب المؤسسة المطبعية للفنون الجميلة، الرغاية الجزائر، المرجع السابق، ص 163.

أولا :المرحلة الأولى يقتضيها في معهد المبتدئين بالحراش .[1]

ثانيا : المرحلة الثانية في كلية اللاهوت في طيبار في تونس وكلية اللاهوت في قرطاج.

ويأخذ في المرحلة الثانية علم اللاهوت واللغات : العربية والأمازيغية، ودروس في الطب التطبيقي ليستفيد منه أثناء مزاولته لمهامه الخيرية، وخاصة في مجال الطب.[2]

ج- ميادين نشاط الآباء البيض :

استمر اهتمام لا فيجري بشكل واسع بالتنصير في عهد النظام المدني رغم فشل المساعي التنصيرية في العهد السابق، حيث استطاع أن يؤثر في الحاكم العام دو قيدون والذي حل بالجزائر في 1871م، والذي تطورت الحركة التنصيرية تطورا كبيرا في عهده لمساندة لها ودفاعه عن المسيحية.[3]

ولتحقيق السياسة الجديدة استعان الكاردينال بالآباء البيض الاستمالة السكان باسم الأعمال الخيرية كالتعليم للدور الذي تؤديه المدرسة في مجال التنصير، وكذلك التطبيب.

1- التعليم :

كان مصير الأطفال الذين جمعهم أيام حدوث المجاعة في عامي 1867-1868م الذين بلغ عددهم 1753 طفلا، أن أرجع 200 طفلا إلى أهاليهم، ولم يبق له في سنة 1871 م سوى 378 ولدا و 342 بنتا، فقام بأخذ 300 منهم إلى فرنسا في أوت من نفس السنة، وأودع الباقين في الدار البيضاء "الحراش" أو في القريتين التي أنشأهما في ناحية العطاف بنواحي الشلف، اللتين أطلق عليهما اسم سان سيبريان وسانت مونيك.[4]

---

[1] - لقد حصل لا فيجري في الحراش على حوالي 25 إلى 30 هكتارا من الأراضي الفلاحية، التي ركز فيها نشاطه التنصيري، احتوت على ملاجئ لليتامى ومعهد لتكوين الاخوان والآباء المبتدئين، ومساحته كبيرة لزراعة الكروم وضمنت لهم مداخيل مالية هائلة. ينظر :خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 133.

[2] - نفسه، ص 126.

[3] - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص ص 155-156.

[4] - شارل روبر أجرون ، المصدر السابق، ص ص 98-99.

اعتنى الآباء والأخوات البيض بتعليم اليتامى وتربيتهم الدينية، حيث كانت الصلاة تجمعهم كل يوم في كنيسة القرية، ولم يكن من الضروري أن يتجاوز هذا التعليم مستوى معينا، حيث كان الغرض منه ربط اليتامى بالأرض وجعلهم مساعدين للمعمرين الفرنسيين، إذ كتب في احدى رسائله " هذا هو تأكيد الحل الأنسب للقضية الجزائرية الكبرى لأنه هو وحده الذي يجعل تحت تصرفنا الآلاف من الأيدي العاملة من أجل الأعمال السليمة، وقد كانت دائما مستعدة لحمل السلاح ضدنا"[1].

اتبع الآباء البيض مجهودا كبيرا في مجال التنصيرات الفردية في مأثرة الأيتام الموكلين إليهم، حيث كان التعميد يحصل عند سن البلوغ، كما فتحت مدرسة اكليركية للأطفال المسلمين في سان لوران دوست بمنطقة جبال البرانس هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان الآباء البيض يكونون في الدار البيضاء مترهبين من العرب، بينما تأوي كلية لاهوتية دينية للبعثات التنصيرية في القبة بعض المترشحات من الفتيات العربيات.[2]

وقد انصب المجهود الأكبر للتعليم في منطقة القبائل الكبرى، ففي عام 1873م انشئ لا فيجري مراكز تنصيرية بالمنطقة، وكانت على التوالي في القرى الآتية :

- مركز بنؤي كان لليسوعيين ابتداء من عام 1872م ثم تسلمه الآباء البيض عام 1883م.
- مركز آيت عيسى في تاقمونت عزوز في عام 1873م بإشراف أربعة 4 منصرين.
- مركز توريت عبد الله في آيت واضو عام 1873م وبه ثلاث 3 منصرين.
- مركز ايبركانن في عام 1873م.
- مركز ورزان في بني منقلات سنة 1876م وبه 5 منصرين.
- مركز بونوح في عام 1876م.
- اغيل علي في بني عباس عام 1879م وبه 5 منصرين.
- خراطة في عام 1895م ووادي عيسى (قرب تيزي وزوا) في عام 1926م.

[1] – الشيخ أبو عمران، المرجع السابق، ص ص 58–59.

[2] – شارل روبر أجرون، المصدر السابق، ص 100.

- آيت الأربعاء في عام 1883م، تسلمه الآباء البيض من اليسوعيين لاحقا.

وكان الحاكم العام دو قيدون قد سمح للكاردينال بفتح ما شاء من المدارس الخاصة، واغتنم الفرصة اليسوعيين . رواد التنصير في منطقة القبائل . منذ عام 1873م في انشاء مدارسهم، ثم أتى بعدهم الآباء ليؤسسوا مدارس أخرى في تلك المراكز، التي كان من شأن هذه المنافسة ايقاظ غيرة المجالس المحلية، في الوقت الذي كان المجلس العام بمدينة الجزائر يطالب بغلق المدارس الكنسية من أجل انشاء مدارس فرنسية علمانية بالبلدية الأهلية والتكفل بها.[1]

ولقد منع المنصرون هناك من ترويج المسيحية، بعد الفشل الذي منيت به البعثات اليسوعية سابقا ما أدى إلى تلقي الآباء البيض تعليمات بتفادي الحديث عن التثليث، وبعدم تعليم المبادئ الدينية المسيحية، لكن لا فيجري اعترف بعجز التنصير الفردي لعدم قدرته على اقناع المسؤولين في بلاد القبائل، فأخفقت المحاولة الثانية للتنصير، لكن قيام السلطة بإغلاق المدارس التي فتحها اليسوعيين لم تثن من عزيمة الاسقف على الرغم من سعيه إلى تلطيف حماسه إلى حد ما .

ولم يعد الاسقف بعد ذلك عن مشروعه فقد أصدر أمرا في نهاية 1886م إلى دعاته يطلب منهم القاء دروس دينية في شكل قصص تاريخي وهذا التعليم الديني يجب أن يقتصر على الحقائق الجوهرية في الوحي.[2]

هذا وشغلت المدارس التي يشرف عليها الآباء في منطقة القبائل بمجادلات مع المدارس اللائكية الرسمية، وبمجرد حلول عام 1870م كان الآباء البيض مسيرين للمدارس الابتدائية البلدية، وكان المعمرون المعارضون للكنيسة، والمسيطرين على البلديات التي تمارس صلاحياتها بصفة كاملة، قد الغوا تسديد الأموال للمدارس التي يسيرها الآباء، وبعد الانتخابات الحاسمة لعام 1871م قررت المجالس البلدية كلها تقريبا علمنة المدارس الابتدائية، غير أن المدرسين العلمانيين لم يستطيعوا الاستيلاء على البنايات التي رفض الآباء البيض التخلي عنها، حيث صادق الولاة على المداولات البلدية

[1] – شارل روبر أجرون، المصدر السابق، ص ص 159-160.

[2] – نفس المصدر، ص ص 102-103.

لكن الحاكم العام دو قيدون .الأميرال كاردينال كما كان المستوطنون يلقبونه . الغى الترخيصات الولائية للبلديات، وأمر بإرجاع المدارس البلدية إلى تعليم الآباء .

كانت نتائج ذلك القرار مضاعفات سلبية على المدرسين الكنائسيين فأجرهم الذي تكلفت به البلديات حدده المجلس الاعلى المنتخب بـــ 700 فرنك رفع إلى 900 للآباء، وبقي في حدود 700 للأخوات، مقابل ابتداء أجر المدرسين والمدرسات اللائكيين على التوالي بـــ 1500 و1200 فرنك منذ عام 1866م.[1]

وفي 1884م اقدم الحاكم العام البيرت غرفي على غلق مدرستين يسوعيتين بموجب مراسيم وزير التربية جول فيري الصادرة عام 1880م حول مؤسسات الجمعيات الدينية غير المرخص لها، فعوض الآباء البيض اليسوعيين على تلك المدارس، وكان الهدف آنذاك انشاء مدارس وزارية تشمل بلاد القبائل أولا، التي بلغت 8 مدارس بموجب مرسوم 9 نوفمبر 1881م.[2]

ولم يغفل المنصرون أهمية تعليم المرأة، ولتحقيق هذا الغرض سعت الاخوات البيض في منطقة القبائل إلى جذب الفتيات إلى مدارسهن لتعليمهم مبادئ اللغة الفرنسية وفنون التدبير المنزلي، للعمل على تنصير ابنائهن بعد زواجهن في حال تنصرن [3]، وكان التركيز على تعليم الطبخ، الخياطة، الترقيع، الحياكة... الخ

وكانت منطقة القبائل المحطة الرئيسية للتنصير في الجزائر، فخلال الحقبة الممتدة من عام 1867م إلى عام 1904م تاريخ بداية قرار تصفية التعليم التنصيري

التطبيب :

يعتبر التطبيب الوسيلة الرئيسية في مجال التنصير فبه يحتك المنصرين بالأهالي بتقديمهم بمجموعة من الخدامات المتمثلة في معالجة الأهالي في المستشفيات وعلاج المرضى في منازلهم، تم تأسيس مستشفيين يقدمان خدماتهما للأهالي الأول أسسه لا فيجري بالعطاف عام 1886م وسماه " بيت الله " والثاني أسسه الحاكم العام جول كامبون في بني منقلات في منطقة القبائل الكبرى عام 1894م، أطلق عليه اسم " مستشفى سانت

---

[1] – شارل روبر أجرون ، المصدر السابق، ص ص 145-146.

[2] – نفس المصدر، ص ص 164-165.

[3] – وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 74.

اليزابيت " الذي منح ادارته وتسييره للأخوات البيض [1]، فبواسطة هذه الخدمات الطبية تمكن المنصرون من جعل السكان يقبلون على مراكزهم للمعالجة، وقد نفذ الآباء العمليات التنصيرية الأولى بمنطقة القبائل مع اليتامى المعوقين والمرضى الميؤوس منهم، وبعض المغامرين الباحثين عن المادة، ولعل أهم ما استغلوا هم العجزة من الشيوخ، أو الذين تخلت أسرهم عنهم لمعاناتهم من الفقر والحرمان والوحدة القاتلة.[2]

[1] – وعلي محمد الطاهر، المرجع السابق، ص 87.

[2] – خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 160.

الفصل الثاني

احتلال الصحراء وتنصيرها

أولا : امتداد التنصير إلى الصحراء

أ- انشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء

ب- نشاط الآباء والاخوات البيض بالأغواط

ج- نشاط الآباء والأخوات البيض بورقلة

ثانيا : تطور التنصير في الجنوب الشرقي للصحراء

أ- انشاء لا فيجري لفرقة إخوان الصحراء المسلحين في بسكرة

ب- شارل دي فوكو وسيلة للغزو الروحي والعسكري

أولا : امتداد التنصير إلى الصحراء

أ- انشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء

يمكن لنا تقسيم تاريخ تنصب المنصرين في الواحات الشمالية في الصحراء، وبالضبط في الأغواط إلى فترتين والتي أدت إلى تأسيس النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء .

الفترة الأولى: من عام 1856 إلى عام 1868م

بدأت أولى طلائع المنصرين تصل الأغواط بعد احتلالها في سنة 1852م، تمهيدا للقيام بالغزو الروحي بعد اتمام الغزو العسكري ففي 10 أوت 1856م وصل أول اسقفيان إلى الأغواط وهما بوني ودي مونت التابعان لمنظمة القديس فانسان دو بول ليشرعا في أولى محاولات التنصير في الصحراء، تعتبر الاغواط من المحطات الاولى الجنوبية في مباشرة العمل التنصيري لكن الأصوات المعارضة رفضت فكرت وجودهم في مناطق محتلة تدخل في نطاقها لخشيتهم من اثارة مشاعر العداء مع المسلمين، لكن الاسقف كان نشاطهما تحت غطاء مرشد عسكري.[1]

وفي 15 أكتوبر 1856م افتتحوا مدرسة بناء على طلب من السلطات العسكرية، التي خصصت للأهالي وكذلك الأوربيين، ليرتادها عدد غير قليل من الأهالي حتى عام 1863م، كان معظم الذين حظروا اليهود والاوربيين بعد تأسيسها .

أما وصول الراهبات فكان في 15 أكتوبر 1859م، حيث وصلت ثلاث من أخوات الاحسان التابعات للقديس فانسان دو بول[2]، ليستقرن في بيت صغير في المنطقة ويعالجن

---

[1] – الحاج ابراهيم الحاج أحمد : نشاط المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر ، إشراف : أ د / فاطمة الزهراء قشي ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة منتوري قسنطينة ، 1433هـ/2012م ، ص ص 81-82.

[2] – ينظر تعريفنا للأخوات القديس فانسان دي بول في المبحث الأول من الفصل الأول ، ص15.

الأهالي حتى غادرن الجنوب يوم 18فيفري 1866 م . وبالمثل، فإن الآباء التابعين للقديس فانسان دو بول، سيتقاعدون في 24 ماي 1866م.

كانت الصحراء في التقسيم الكنسي لا تتبع اسقفية الجزائر، بحيث كانت الشؤون الدينية للصحراء هي التي ترعى الكرسي البابوي كجزء تابع للجزائر الفرنسية، ولذلك تعهد لا فيجري بتسييرها إلى جمعية رهبانية كذلك، وهي مؤسسة الاخوة اليسوعيين ، ومع اعادة الحامية العسكرية إلى الاغواط في 1868م عادت المؤسسة من جديد [1]، لندخل الفترة الثانية وهي فترة اليسوعيين .

الفترة الثانية: من 1868م إلى 1872م

وصل الآباء اليسوعيين في 1 أوت 1868م ولمباشرة المهمة في الصحراء، كانت علاقتهم مع المسلمين أسلوب تحت مبدأ الرعاية الصحية والتعليم، وخاصة من جانب الأب فالكون، ليبقوا فيها إلى سنة 1872م، ومع نهايتها أرسل لا فيجري إلى الأغواط الأب شرمي تان لتعويض الأخوة اليسوعيين هناك للعمل في بلاد القبائل.[2]

وفي السادس من شهر أوت 1868م عين لا فيجري "مثل رسولي للصحراء والسودان"، وبتاريخ 14 ديسمبر 1890م بلغ الكاردينال بترقية " المحافظة الرسولية للصحراء والسودان " التي كان ممثلا عليها إلى مستوى نيابة رسولية وهو نائبا عليها، ليعاد تنظيمها بعد وفاة الاسقف لا فيجري في 15 جويلية 1893م[3]، وبعد وفاة الكردينال تعاقب على "نيابة الصحراء والسودان " و "المحافظة الرسولية للصحراء " و " المحافظة الرسولية للصحراء بغرداية" بعدها :

1- الاسقف تولوت أناطول "1891- 1897"م.

2- الاسقف هاكارد اوغسطين "1897-1901"م

[1] – الحاج امحمد الحاج ابراهيم، المرجع السابق، ص ص 82-84.

[2] – المرجع نفسه، ص85.

[3] – نفسه، ص 90.

3- الاسقف غيران شارل "1901- 1910" م

4- الأب باردوا هنري " 1910-1916م "

5- الأب دافيد لويس "1916- 1919 "م

وبانتقال الكاردينال على القسم الجنوبي من الصحراء تأسست اسقفية الأغواط، التي تقوم برعاية شؤون كنائس المناطق الجنوبية الجزائرية وهي : الجلفة – الاغواط – الوادي – أدرار – النعامة – بشار – ورقلة – تمنراست – تندوف – البيض – غرداية[1] .

وحسب مقابلة أجريناها مع مدير المتحف البلدي للأغواط السيد الحاج قدور محمد، فإن سبب تغيير مركز الاسقفية إلى غرداية هو عدم توفير الأغواط على مطار على عكس مدينة غرداية، كما أن منطقك غرداية تعاني من مشكلة الطائفية، وان هده الأخيرة لها أهمية أكثر من الأولى، ورغم ذلك إلا أن التسمية بقيت كما هي، حيث سميت أسقفية الأغواط بغرداية[2]، وحسب مقابلة أجرها الطالبة : عيسى أوعيسى و سكوتي زينب مع اسقف الأغواط كلود رول أن سبب بقاء التسمية كما هي لتغييرها إجراءات ادارية لدى السلطات الجزائرية، ولدى الإدارة الخاصة بالأسقفية مما جعل الآباء البيض يتمسكون بتسمية " اسقفية الأغواط".[3]

لقد اعتبرت الأغواط أولى محطات تنصيب المهمات التنصيرية في الصحراء بدء بمنظمة القديس فانسان دو بول ثم اليسوعيين، ونظرا لأهميتها باعتبارها ممر لقاصدي الواحات الجنوبية نظرا لموقعها في الطرف الشمالي للصحراء، انشئت بها أول اسقفية للصحراء، و أصبحت الأغواط مقرا للمحافظة الرسولية على الصحراء، لتعهد إلى الآباء

---

[1] – عيسى أو عيسى أسكوتي : الهوية الثقافية الجزائرية والمراكز التعليمية للآباء البيض ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في علم الاجتماع ، تخصص تربوي ، المركز الجامعي غرداية ، الموسم الجامعي 1429-1430هـ/2008-2009م ، ص 74.

[2] – ينظر الخرائط رقم 2 : انشاء المراكز التنصيرية الأولى في الصحراء الجزائرية.

[3] – مقابلة مع مدير المتحف البلدي بالأغواط السيد : الحاج قدور بالمتحف ، يوم 5 فيفري 2017م على الساعة 10:00.

البيض، الذين امتد نشاطهم فيها، وفي الواحات الصحراوية الاخرى، وهو ما سنراه في العنصر الموالي.

ب- نشاط الآباء والاخوات البيض بالأغواط :

كان لتعيين لا فيجري في السادس من شهر أوت 1868م "ممثل رسولي للصحراء والسودان" و هدف من سير هذه المحافظة الواسعة هو ان يستقطب رجال تكونوا له في الجزائر، وانسجموا مع سكان الشمال الإفريقي لهذا الغرض، ومع نهاية 1872م أرسل إلى الاغواط الأب فيليكس شرميتان[1]، واثنين معه لتعويض الاخوة اليسوعيين هناك للعمل في بلاد القبائل[2]، وبهذا فقد قسمت فترات نشاط الآباء والأخوات البيض في الاغواط إلى ثلاث فترات زمنية :

الفترة الأولى: من 1851 إلى 1878م

وصلت أولى طلائع الاخوات البيض إلى الاغواط في ديسمبر 1871م ليبقين حتى نهاية أوت 1873م في ظروف مادية ومعنوية بائسة، لكنهن قمن على الفور بالعلاج والتدريس، أما تأسيس مركزهم فقد اسس الآباء البيض الأوائل في 17 أكتوبر 1872م، أول مركز بالأغواط، حيث كانت وجهة نظر لا فيجري أنها ليست سوى خطوة في الطريق إلى السودان، ليبدئوا على الفور في التدريس والعلاج في الموقع فضلا عن استكشاف الجنوب مزاب ومتليلي وتعميم النشاط التنصيري.

---

[1] – يعتبر الأب شرميتان من اسقفية باريس من الآباء الخمس الأوائل ، الذين انخرطوا في جمعية الآباء البيض ، والذين تقدموا في 18 أكتوبر 1868م لمزاولة تعليم أولى في معهد الأبيار قبل ارسالهم في بعثات تنصيرية ، ينظر : مزيان سعيدي ، المرجع السابق ، ص 76.

وقد أصبح مسؤول فرقة الآباء البيض بمنطقة القبائل ، والذي الف كتابان سجل فيهما انطباعاته عن مهمته مهما :

Charmetant (lAbbé): annales de la propagation de la foi 1874.

Charmetant: Les Peuples Kabylie et les tribus nomades du Sahara, Monnéral, 1875.

ينظر : خديجة بقطاش ، المرجع السابق ، ص 170.

[2] – الحاج امحمد حاج ابراهيم ، المرجع السابق ،ص 86.

الفترة الثانية : 1878 إلى 1901م

شهدت فترة 1895 إلى 1900م بناء كنيسة جديدة، والتي بوركت في 3 ماي 1900م، وفتحت للعبادة في 1 نوفمبر من نفس السنة، وهي كنيسة القديس هيلاريون.[1]

الفترة الثالثة : من 1901 الى 1929م

شهدت هذه الفترة نشاط الأب كاريل منذ عام 1897م، الذي ظفر بتأسيس مركز للأخوات البيض الذي قام على الفرو بالعمل مباشرة بالأعمال الصحية والحث على التعليم ...الخ. وقد بقي هذا الاخير في الأغواط إلى عام 1908م.

طلبت السلطات العسكرية من الآباء البيض استئناف العمل في الجلفة والأغواط في الوقت التي بدء فيها انتشار المجاعة والتيفوس ليقوموا اضافة إلى الاخوات بالعمل بها في داخل القصور، وفي عام 1926م، قام علماء الاغواط بمجهودات كبيرة أدت إلى افتتاح المدرسة قرآنية بعد عام واحد، والتي أثرت على آداء المهمة التنصيرية بشكل كبير جدا، وفي هذه الفترة أصبح الجيش أقرب بكثير إلى الآباء .

لقد اعتبرت الأغواط المرحلة الأولى للطريق إلى الصحراء، ثم التوغل للوصول إلى اقاصي الهقار وبلاد السودان .

ج- نشاط الآباء والأخوات البيض بورقلة :

كان وصول الآباء والاخوات البيض إلى الاغواط بدء من عام 1871م ومتليلي في 1874م وهدا كان دافعا لهم للتنصب في مزاب، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إلا في 1884م أي بعد الاحتلال العسكري لمزاب منذ 1882م، مما دفعهم أيضا لتغيير محطاتهم إلى ورقلة, وصل الآباء البيض الأوائل في جوان عام 1875م ليشرعوا فورا في ابتداء العلاج والتعليم . وفي أوت من عام 1879م غادر الآباء البيض بصفة مؤقتة ليرجعوا إليها في عام 1881م ,افتتح المستشفى العسكري في الفاتح ماي 1889م في برج بني ثور

[1] – ينظر ملحق الصور رقم 4 : صورة الكنيسة القديسة هيلاريون بالأغواط.

الذي تكفل بالسكان المحليين، فتكلف الآباء البيض بإعطاء العلاج للمرضى حتى بلغ عـــدد العلاجات 12000علاج [1].

وكعادة المنصرين بعد الحلول في أي منطقة أن يجعلوا التعليم بشقيه العام والمهني، والإحسان والخدمات الصحية هدفا لهم للتغلغل في أوساط السكان حتى يتسنى لهم القيـــام بمهامهم التنصيرية بكل حرية فكان تأسيس مدارس التعليم العام.

1- **مدارس التعليم العام :**

وفي عام 1900م استقبلت المدرسة الخاصة للآباء البيض نحو 30 تلميذا وفي ســـنة 1903م أعطت المدرسة الخاصة دروسا لعدد من الكهول لـــ 5 مرات في الاسبوع، التي اعطت دروسا تطبيقية أيضا في علم النخيل والفلاحة في عام 1906م، وهذا بعـــد شـــراء ثلاث أجنة صغيرة من أجل تدريب التلاميذ.[2]

وفي عام 1933م حصل طلاب من المدرسة الخاصة للآبـــاء البـــيض علـــى أول شهادات ابتدائية تعطيها تلك المدرسة في تاريخها.

[1] -الحاج امحمد حاج ابراهيم، المرجع السابق، ص 98.

[2] - نفسه، ص92.

2- مدارس التكوين المهني:

أ- الذكور:

لقد أسس الآباء البيض مدارس للتكوين المهني موجهة للذكور والإناث، فأما الذكور فقد استفادوا من تجربة متواضعة في صناعة السلال وسعف النخيل في الحياكة الميكانيكية ودباغة الجلود والطرز على الجلد في عام 1923م، وقد انتهى تشييد المشغل في عامي 1927-1928م وفي عام 1951م شرع مركز التكوين المهني للآباء في تكوين البنائين والميكانيكيين[1].

الإناث:

كان التكوين المهني للإناث في بدايته تحت اشراف الآباء البيض الذين اقتنوا في عام 1905م الآلتين الأوليتين للخياطة، وكذلك الآلة الميكانيكية الأولى للنسيج، وفي عامي 1908-1909م افتتح أول قسم حرفي للبنات في المدرسة العمومية.

أما الاخوات البيض فيرجع وصولهن إلى ورقلة في جانفي من عام 1912م قادمة من غرداية، حيث أقمن هناك لمدة شهرين فتحن فيها معملا للنسيج، ليستأنف عملهن في يوم 16 نوفمبر . وفي 11 ماي 1914م توقف نشاط الأخوات البيض ليستأنف هذا النشاط من نسيج وعلاج في 19 نوفمبر عام 1919م.

وفي شهر ديسمبر عام 1923م أنجز ودشن مشغل كبير للأخوات البيض[2]، لقد شهدت ورقلة كغيرها من المدن الصحراوية توافر المنصرين، ورغم تزامن توافر الآباء والأخوات البيض في الدخول إلى أي منطقة، إلا أن غير المفهوم من مركز ورقلة هو تأخر وصول الأخوات إليها إلى غاية سنة 1912م، أي بعد 37 سنة من قدوم الآباء البيض ليتوقف عملهن في 1914 ويستأنف في 1919م، حتى قام الآباء بالتكفل بالتكوين

[1] - الحاج امحمد حاج ابراهيم، المرجع السابق، ص93

[2] - ملحق الصور رقم 5 : مشغل الأخوات البيض بورقلة.

المهني للبنات في بدايته في عام 1905م، على خلاف العرف السائد من تكفل الاخـــوات بتكوين البنات.

ثانيا : تطور التنصير في الجنوب الشرقي للصحراء

أ- انشاء لا فيجري لفرقة إخوان الصحراء المسلحين في بسكرة :

لقد جعل لا فيجري من بسكرة مركزا لإقامته الشتوية ابتداء من زيارته الأولى لهـــا في نوفمبر من سنة 1886م[1]. والتي وصل إليها في 26 من شهر فيفري، وذلك للمعالجة الصحية، وكذلك للبحث عن آثار تاريخ افريقيا وســـط الأطـــلال الرومانيـــة والمســـيحية للصحراء.[2]

ومع الظروف العامة التي كانت تعيشها الصحراء الجزائرية، وافريقيا السوداء عامة يميزها بلوغ التنافس الاستعماري ذروته بين قوتين استعماريتين "فرنســـا انجلتـــرا" فـــي العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر، والتي ساقت لا فيجري إلى التفكير فـــي كيفيـــة طبع تلك الحركة بطابع ديني صليبي بإسهام رجال الدين والكنيسة فيها.[3]

وكان تعرض سكان الصحراء للبعثات التنصيرية الأولى، وقتل جل افرادها أن مكن لا فيجري باتفاق مع ممثلي الحكومة والقواد العسكريين أن يحدثوا منظمة الحرس المسلح ظاهرها التنصير أما باطنها حماية الآباء البيض بالسلاح، وسمى هـــذه الفرقـــة المحدثـــة بـــ"منظمة الأخوات البيض"، حيث كان جل أفرادها شبان أوروبيون مسيحيون.[4]

وكانت الطريقة المقترحة في بسكرة لذلك انشى "زاوية مسيحية " الزاوية هي مركز جمعية دينية اسلامية، مسيرة من طرف مرابط مساعد من طرف عدة اعيان، ولها نفـــوذ على جميع المنتسبين للإخوان، معناها

---

[1] – خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص 188

[2] – علال هلال، المرجع السابق، ص 150

[3] – مزيان سعيدي ، المرجع السابق ، ص ص 351-352.

[4] – البوعبدلي المهدي، المرجع السابق ، 1344.

في الزاوية الاخوان يجدون حسن الضيافة، وحماة مكلفون بنقلهم إلى مرسى القوافل، بفضل السلطة المخولة لهم من صفتهم الدينية، أما زاوية لا فيجري، احتوت على مستشفى يدار من طرف السود تم شراؤهم ثانية وأصبحوا اطباء، وهي على شكل دير لاستقبال الاهالي ومعالجتهم . كما احتوت على بيت للمترهبين مخصص لتكوين الاطارات [1]، التي اقترحها الكاردينال، وسماهم اخوان الصحراء أو الاخوان المسيحيين [2].

لقد حاول لا فيجري من خلال انشاء هذه الفرقة الدينية المسلحة إلى اخضاع ما تبقى له من مناطق الصحراء، كما حاولت السلطات الفرنسية استعمالها للسيطرة على اقليمي توات وقورارة، وما اختيار لا فيجري لبسكرة سوى لأهميتها الدينية من واحات الصحراء، ورغم الآمال التي علقها على هذه الفرقة إلا أن السلطات الفرنسية قامت بحلها لتخوفها من ردود أفعال السكان المتمثلة في القيام بأعمال جهادية، هذا فضلا عن تحفظ كبار رجال الدين، وانتقاد الصحافة الفرنسية، والدول الاوربية من خلال خرق فرنسا للمعاهدة الدولية، وبالتالي فإن الكاردينال وهو في أواخر حياته عاش على صدمة هذا القرار.

ب- شارل دي فو كو وسيلة للغزو الروحي والعسكري :

لم يبلغ شارل دي فوكو درجة لا فيجري في المنصب الديني الرسمي، ولكنه بلغ درجته في الشهرة والخدمات التي أداها للكنيسة من جهة، والإدارة الاستعمارية من جهة أخرى، وحياة دو فوكو صورة للمغامرة، والجاسوس المخلص، والفرنسي المضحي بالغالي والرخيص في سبيل بلاده، عاش حياة شبيهة في جزء منها بحياة لا فيجري لا

[1] – يشترط في تكوينهم أن يكون عمرهم يتراوح ما بين 16 إلى 35 سنة لا أكثر ولا أقل ، وتقدر مدة تكوينهم بعامين ونصف في أحد مراكز الآباء البيض ، وعند تخرجهم يؤدون القسم ويعيشون في جماعات. ينظر : مزيان سعيدي، المرجع السابق ، ص 84.

[2] – ينظر ملحق الصور رقم 6 : فرقة إخوان الصحراء المسلحين ببسكرة.

سيما ما يتصل بالإخلاص للكنيسة، وعلاقته بالشرق وبالإسلام، ولكنه كان يختلف عنه في المغامرة، وتعلم اللغات، والتنقل من هنا وهناك، والجمع بين الخدمة العسكرية والدينية.[1]

ولد شارل أوجان دو فوكو يوم 15 سبتمبر 1858م بستراسبورغ في أحد الأحياء الراقية للعائلات النبيلة، وتنتمي عائلته بدورها إلى عائلة متمسكة بالتقاليد، والإخلاص للوطن.[2]

دخل دو فوكو الجيش الفرنسي والتحق بمدرسة سانت سير العسكرية، وفي سنة 1878م التحق بمدرسة سومير للخيالة ليرسل من خلالها إلى الجزائر في عام 1880م ضمن فرقة عسكرية[3]، وكان دو فوكو وصل إلى رتبة ملازم أول، واختار الخروج من الجيش[4]، حيث قبل طلبه في 3 جوان 1881م، وأرجعت إليه رتبته فالتحق بفرقته ليبقى معها حوالي 8 أشهر في الجنوب الوهراني، وكان ضمن تلك الفرقة كل من لا برين الضابط المترجم موتيلا نسكي، والكونت كاستري الذين سيشكلون أهم صداقاته فيما بعد[5]. وبعد أشهر استقال نهائيا من الجيش، وهو لم يبلغ سن 24 سنة.[6]

درس دو فوكو اللغة العربية، وتعرف على مسالك الصحراء وسكانها منذ وقت مبكر من حياته، كما اهتم بالمغرب الاقصى [7]، ففي سنتي 1883-1884م وبالتنسيق مع الشركة الفرنسية للجغرافيا سافر في رحلة إليه [8]، وبعد ذلك أصدر كتابه : معرفة المغرب المغرب "La reconnaissance au Maroc"، وقد كانت المعلومات الدقيقة الغزيرة،

---

[1] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق ، ص 133.

[2] – حسن مرموري ، الطوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2010م ، ص 253.

[3] – أعميراوي احميدة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 112.

[4] – سعد الله ابو القاسم ، المرجع السابق .ص134.

[5] – حسن مرموري ، المرجع السابق ، ص 259.

[6] – بوشارب عبد السلام ، الهقار أمجاد وأنجاد ، نشر المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، 1995م، ص 110.

[7] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق. ص 156

[8] – بوشارب عبد السلام ، المرجع السابق .ص 166

التي جمعها في رحلته هذه دليلا قويا، وموثوقا به بعد ذلك بنصف قرن للقوات العسكرية الفرنسية في احتلالها للمغرب الاقصى.[1]

انظم في سنة 1890م إلى إحدى المجموعات الدينية في سوريا تعرف باسم الأخ ماري فأصبح يمارس الاعمال الشاقة لتطهير نفسه، كما كانت لرحلته إلى فلسطين أثر في حياته الروحية، مستفيدا كذلك من إقامته لمدة سنتين في روما لدراسة علم اللاهوت.[2]

عين دو فوكو قسا واختار العيش في بني عباس في 9 جوان 1901م[3]، حيث طلب من المدبر الرسولي للصحراء " غورين " 1901-1910م والترخيص له للقدوم إلى الصحراء بصفته قس حر للوصول إلى "حياة الزهد" فقد استقر على حدود الساورة في بني عباس على مسافة قصيرة من مركز عسكري، وشرع في نشاطه، فقد اعجب بهذه الواحة كثيرا، كما تجول في الصحراء من جديد، فزار الأغواط وغرداية وتوقرت، حين تخلى عن الجيش نهائيا، كما قام بزيارة إلى المشرق، حيث زار سوريا وبيت المقدس وروما، ثم سوريا مرة أخرى والناصرة ليعود غلى الجزائر.[4]

بسبب عناد الطوارق في مقاومة المغامرين الأوربيين ورفضهم للتوسع الفرنسي في بلادهم استعان الفرنسيون بدور فوكو واقنعوه بنقل مقر اقامته من بني عباس[5] غربا غلى الهقار في قلب الصحراء، فوافق على ذلك [6]، ففي سنة 1904م اقنعه لا برين بأن يرافقه في رحلة استطلاعية عبر قبائل الطوارق والمناطق المجاورة للهقار، والتي كان

---

[1] – العربي اسماعيل ، المرجع السابق ، ص ص 112-113.

[2] – اعميراوي احميدة وآخرون ، المرجع السابق ، ص 113.

[3] – المرجع السابق ، ص 114.

[4] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق ، ص 135.

[5] – تقع قرية بني عباس في الجنوب الغربي الجزائري ، تتوسط ولايتين بشار من الشمال وأدرار من الجنوب.

[6] – يحي بوعزيز : انتفاضة الطوارق بالزجر والهقار 1916-1919م ، مجلة الثقافة ، ع 93 ، السنة 16 ، شعبان – رمضان 1406هـ/ماي – جوان 1986م ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1986م ، ص 179.

الفرنسيون قد دخلوا إليها منذ عامين فقط[1]، وقد تركه عند قبائل الطوارق في مدينة عين صالح لمدة ثلاث أشهر[2] .

قام دو فوكو أثناء رجوعه من عين صالح بزيارة ثانية على غرداية، ففي شهر أكتوبر من عام 1904م قام بزيارة لمتليلي ومزاب ماكثا فيها لمدة شهرين، حيث يروي الأب لويس دافيد1874 –1966م ذلك ويصفه بـ الضابط اللامع و الفارس، كان يعامل مثل الآباء البيض، والذي قدم لهم موعظة طلب لهم فيها بالرجوع على حياته العادية حياة الهدوء، العمل، الزهد والصلوات الممتدة جدا في الليل أمام القربان المقدس .

عاد دو فوكو إلى الساورة حيث واصل دراسته للغة المحلية "تماشيق" وترجمة الاناجيل لتلك اللغة، ثم عاد إلى بني عباس مرة ثانية ليزاول مهامه السابقة، وساعده في بحوثه اللغوية وتعلم "التماشيق" الدكتور دوتفيل الذي تعلمها في غضون ستة أشهر بعد مكوثه لمدة في الهقار.[3]

كان لا برين يدرك معرفة دو فوكو لعادات الصحراويين، ولهجة الطوارق، وقدرته على كسب النفوذ لفرنسا والتجسس لحسابها، لذلك طلب الجنرال منه أن يقبل الإقامة الدائمة في الهقار ليكون هو الصلة بين السلطات الفرنسية والأحداث هناك[4]. وبعد مراسلات عديدة من صديقه، قرر دو فوكو القبول بالإقامة في تمنراست، حيث سافر في جوان سنة 1905م برفقة خادمه بول Paul، والقائد العسكري دينوكس، وجنود فرنسيين، وعند وصولهم استقبلهم زعيم الطوارق آغا مسطان، الذي كان يعرف دو فوكو من زيارته الأولى إلى المنطقة، ثم واصل رحلته مع خادمه ومجموعة من الطوارق والسيد

---

[1] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق ، ص 135.

[2] – اعميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق ، ص 122.

[3] – نفسه، ص 124.

[4] – سعد الله ابو قاسم ، المرجع السابق ، ص 136.

إتينونوت مفتش البريد، الذي كان مكلفا بإنجاز مشروع بناء مركز بريدي تلغرافي في صحراء الجزائر وتحديدا تمنراست .

أصبح دو فوكو [1] في تمنراست على اتصال دائم، مع أعيان واشراف الهقار، ولا سيما زعيمهم آغ أمستان، وكلما مر ضابط فرنسي من هناك أقام له دو فوكو حفلة تارقية، ويقول عنه الجنرال منيه أنه كان دائما فرنسيا وجنديا متميزا بالرحمة والانسانية، وأضاف عن غيرته الفرنسية بانه كان دائما يلح على نشر النفوذ الفرنسي في منطقة الهقار، وخدمة مصلحة بلاده، ومراقبة الحركة الدينية والسياسية في المنطقة كنشاط السنوسيين.

كانت السنوسية أثناء فترة الحرب العالمية الثانية ذات نفوذ واسع على الحدود الجزائرية الليبي بمناصرة بعض القبائل التارقية مثل اجزير، فقد هجمت هجوما قويا ضد القوات الفرنسية المتمركزة في جانت [2].

ويقال ان في 1 ديسمبر 1916م تسلل إلى برج دو فوكو في تمنراست بعض الثوار الطوارق، ليطلق عليه الشاب آغ طره النار فأرداه قتيلا في الوقت الذي اقتحم فيه اصحابه البرج بحثا عن الاسلحة والمؤنة، التي كان يودعها الجنود الفرنسيين هناك.[3]

لقد مثل دو فوكو عند تواجده في الهقار السلطة العسكرية التي يمثلها الرائد لا برين والسلطة الدينية، ولكنه يظل في نظر السلطات الفرنسية هو الذي ثبت النفوذ الفرنسي في الجنوب .

---

[1] – ملحق الصور رقم 7 : الراهب دو فوكو داخل معبده بتمنراست.

[2] – اعميراوي احميدة وآخرون، المرجع السابق ، ص 126.

[3] – عبد السلام بوشارب ، المرجع السابق ، ص 111.

الفصل الثالث
وصول واستعمار
في الهقار بعد احتلالها

أولا : احتلال الفرنسي لصحراء تحديدا (منطقة الهقار)

أ- الاهتمامات الاستعمارية للصحراء:

ب- مراحل الاحتلال الفرنسي لمنطقة الهقار :

ج- المرحلة الثانية مقاومة التغلغل العسكري الفرنسي في الجنوب الجزائري:

ثانيا: التنصير في الهقار

أ- برج دو فوكو:

ب- منصرو منطقة الهقار:

ثالثا: ردود فعل السكان على نشاط الاباء والأخوات البيض :

أولا : احتلال الفرنسي لصحراء تحديدا (منطقة الهقار)

أ- الاهتمامات الاستعمارية للصحراء:

كانت الصحراء الكبرى منطقة مجهولة تماما لدى الأوروبيين قبل بداية حركة المغامرين، تنحصر معارفهم عنها في معلومات قدمها الجغرافيون الإغريق والرومان وعرب القرون الوسطى، فالاهتمام الأوروبي بالصحراء الجزائرية كان سابقا عن الاحتلال الفرنسي للجزائر عام1830، من خلال الرحلات الاستكشافية خلال القرن الخامس عشر، حيث قام مغامر جنوبي برحلة إلى حوض النيجر عبر توات عام 1447 م، وقد اشتد التنافس الأوروبي حول القارة الإفريقية في أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر بين الفرنسيين والإنجليز والألمان، وذلك من أجل إيجاد أسواق لمختلف المنتوجات الأوروبية، وإيجاد مجال لإسكان فائض السكان، وكذلك التنافس حول القيام بدراسات علمية واستكشافية متنوعة [1] .

وتكونت لهذا الغرض عدة جمعيات جغرافية علمية أهمها:

الجمعية الإفريقية، والتي تشكلت بإنجلترا سنة 1788 م، وحددت أهداف علمية وإنسانية ووظفت في نفس سنة تأسيسها المغامر"جون لديارد" حيث كلف بعبور إفريقيا من الشرق إلى الغرب، ولكنه توفي في بداية رحلته وتوالت بعده المحاولات الاستكشافية الفاشلة إلى غاية 1796 م، حيث تمكن " مونجوبارك "من تحقيق نجاح نسبي في رحلته التي عبر فيها جزءا من السودان ووصل إلى ضفاف نهر النيل، وتمكن " فريدريك هونرمان"[2]

من الفوز بلقب أول أوروبي نجح في عبور الصحراء، حيث كلفته الجمعية الإفريقية مهمة عبور الصحراء واستكمال مهمة Mark.Park ، ووصل إلى القاهرة سنة 1797م، ثم غادرها في قافلة متجها نحو طرابلس الغرب وبعد شهرين وصل إلى مرزوق، وقرر أن يسافر إلى طرابلس لكتابة الجزء الأول من رحلته ثم يعود إلى

---

[1] – سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق، ص 150.

[2] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص145.

مرزوق، وانتهت رحلته بوصوله إلى نهر النيجر المشهور حيث مات على ضفافه، رغم أن أعماله أهملت آنذاك بسبب الحروب النابليونية ورغم التزام الجغرافيين والمغامرين الصمت على رحلته إلا أنها حققت نتائج مهمة، أو على الأقل جديدة حول جغرافية المنطقة وعادات السكان والطرق والمسالك التي عبرها.

وقام Mark.Park برحلة ثانية عام 1805 إلى النيجر وهلك في العام الموالي مع رفيقه على أيدي سكان " أوليمندن"، وهناك رحلة أخرى قام بها الألماني رونتاغون من المغرب الأقصى إلى الصحراء انتهت بقتله في بلاد حاجّة خلال شهر جويلية 1809 م.

وفي عام 1818 م وجهت الحكومة البريطانية بعثة استكشافية بقيادة " جوزيف ريتشي " سكرتير السفارة البريطانية بباريس، بدأت رحلته من طرابلس باتجاه مرزوق عاصمة فزّان بصحبة ضابط البحرية الكابتان " ليون" ، وانتهت هذه الرحلة بموته، وعوضتها بعثة أخرى رسمية برئاسة الدكتور" أودنيكس " جنوبا حتى مدينة غات وبحيرة تشاد التي مات على ضفافها رئيس البعثة .

وقد عادت هذه البعثة إلى طرابلس في جانفي 1825 م، وفي نفس العام انطلقت رحلة بريطانية أخرى بقيادة الماجور" الكسندر قوردن لانج " إلى إفريقيا انطلقت من طرابلس وزار غدامس، وقاده الشاب " عثمان بن الحاج بكري بن الحاج الفقيه " إلى عين صالح، ووصل إلى تمبكتو في1826 م بعد مغامرات مع الطوارق الهقار الذين هاجمه قبل الوصوله لكنه نجا منهم .[1]

وقد شجعت الرحلات الاستكشافية الانجليزية والألمانية للصحراء الفرنسيين لخوض غمار الاستكشاف، فقد بدأوا مغامراتهم في الصحراء الإفريقية برحلة " رونيه كاييه " الذي عرف بشغفه الكبير بالترحال والتجول بحيث سافر إلى السنيغال سنة1828 م دون تلقيه أي دعم، بعد أن فشل في تحقيق ذلك مرتين سنة1818-1816 م، وهناك بقي مدة طويلة تمكن فيها من معرفة لغة السنيغاليين وعاداتهم ومواصلة هدفهم الديني، وبعد محاولات عديدة للدخول إلى تمبكتو تمكن من تحقيق ذلك في 20 افريل1828 م.

[1] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص159.

ثم غادرها في قافلة يوم 04 ماي1828 م، متوجهة إلى المغرب الأقصى عبر إقليم توات ليصل إلى مدينة فاس في 12 أوت1828 م ومنها إلى مكناس وأخيرا الرباط، وبما أن" رونيه كاييه " كان أول من وصل إلى تمبكتو وعاد منها، وأول فرنسي يتوغل إلى أعماق الصحراء، فقد حظي باستقبال حار في طنجة من قبل نائب القنصل الفرنسي ليهنئه قبل أن يرحل إلى فرنسا في 27 سبتمبر1828 م، خاصة وأنه قدم لفرنسا معلومات جغرافية وحضارية قيمة استفادت منها في سياستها التوسعية الاستعمارية في الصحراء والسودان، في حين أن معلوماته حول الطوارق كانت ضئيلة ومتفرقة.

وهذا ما شجع الفرنسيين للتوسع في القارة الإفريقية وخاصة بعد احتلالهم للجزائر في 1830 م ونجاحهم في مدّ نفوذهم على المناطق الساحلية والتلية رغم المقاومات البطولية التي واجهوها في تلك المناطق، فاحتلال فرنسا للجزائر جعلها تهتم بالصحراء الجزائرية أكثر فأكثر، وقد زاد هذا الاهتمام وترسخ منذ ثورة سكان الجنوب الوهراني بزعامة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الزعاطشة ببسكرة 1849 م، وحركة الشريف محمد بن عبد الله بواحات الأغواط و ورقلة وتقرت إن هيمنة فرنسا على المناطق التلية والشمالية فتح شهيتها للتوسع أكثر في الجنوب الجزائري خاصة وأنها ترى في الصحراء مخزون اقتصادي وأمني استراتيجي وعقائدي ديني يؤمّن مستقبلها في القارة السمراء، ويتضح ذلك في تقرير المارشال" سولت " وزير الحربية إلى الملك" لويس فيليب "والذي وضح أهداف التوسع جنوبا بقوله : إن الصحراء الجزائرية أو بعبارة أخرى كل المناطق الواقعة جنوب التل الجزائري يجب أن تشكل نوعا ثالثا من المناطق الإدارية، إذ لا يمكن توظيف الأوروبيين في هذه المناطق، وحتى الجيش لا يدخلها إلا بصعوبة متقاطعة إما لإقرار الأمن أو التهيئة للظروف التجارية التي ستفتح لنا طرقا هامة نحو إفريقيا السوداء.[1]

ولإنجاح المشروع الاقتصادي الفرنسي قامت الإدارة الفرنسية بتأسيس العديد من الجمعيات والشركات الاحتكارية والبنوك التجارية منها جمعية التجارة لإفريقيا الغربية والبنك التجاري الإفريقي وبنك إفريقيا الغربية والشركة الصناعية التجارية لإفريقيا.

[1] – يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص149.

كما أنشأت أيضا الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر وذلك لفتح آفاق واسعة لازدهار تجارتها وربطها بإفريقيا الداخلية وإيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية، حيث اهتمت فرنسا بوضع شبكة طرق للمواصلات الحديدية والبرية لتسهيل سبل التنقل للقوات العسكرية بين مختلف المناطق الصحراوية ومن مشاريع السكك الحديدية ما قام به "كاباني "الذي اقترح سنة1853 م مدّ خط حديدي يربط الجزائر العاصمة ببوسعادة ويمر على ورقلة وعين صالح إلى مدينة تمنراست، وتتفرع منه خطوط ثانوية تربط مدينة طرابلس وتمتد حتى مدينة تونس، وما قام به المهندس" أدولف دوبونشيل " بدراسة للسكة الحديدية العابرة للصحراء لربط المستعمرات الفرنسية ببعضها البعض، وتسعى هذه المشاريع إلى ربط الجزائر بدولة السنيغال وبلاد السودان.

وازدادت أهمية الصحراء الجزائرية بعد اكتشاف البترول والغاز الطبيعي بحيث عملت على فصل الصحراء عن باقي التراب الجزائري خاصة وأنها تزخر بثروات طبيعية ومعدنية متنوعة هذا من جهة، ومن جهة أخرى عملت على مدّ نفوذها إلى أعماق الصحراء عن طريق تشجيع وتكثيف البعثات الاستكشافية خاصة بعد نجاح بعثة رونيه كاييه .

وبعده تأتي رحلة " هنري دوفيري " التي مهد الطريق لفرنسا لبسط نفوذها في منطقة الطوارق والهقار، ودامت رحلته من1862-1859 ، تمكن فيها من تقديم معلومات وفيرة عن الطوارق[1] .

والجدير بالذكر أن هذه البعثات الاستكشافية ساهمت وبشكل كبير في إنجاز المشروع الفرنسي الاستعماري التوسعي في الجنوب الجزائري .

[1] – زوزو عبد الحميد، مرجع سابق، ص 129.

ب- مراحل الاحتلال الفرنسي لمنطقة الهقار :

المرحلة الأولى : افشال البعثات الاستطلاعية والاستكشافية .

لقد بدأت المقاومة بإفشال كل البعثات الاستطلاعية والاستكشافية والوقوف دون الوصل إلى أهدافها وهذا من سنة 1881 م ومثلا على ذلك بعثة دورنو دويري و جوبار سنة 1874 م حيث تم قتلهما على يد سكان المنطقة ولم يسلم منهم حتى الرهبان من حاولوا الاستطلاع تحت لواء الدين والتنصير عبر صحراء الكبرى الذي عمل الاستعمار على تثبيت النفوذ الفرنسي بالصحراء عن طريق المبشرين . إلى جانب فشل بعثة أروين عام1877 ، بعد أن طرح الكاردينال لا فيجري فكرة التغلغل الى الصحراء من الشمال إلى الجنوب عن طريق المبشرين عام1867 أسست في الجزائر جمعية مبشري الجزائر أو الآباء البيض عام 1874 لهذا القصد وكانت غايتها النفوذ الى الصحراء أو السودان عن طريق عين صالح ونشر المسيحية في وسط إفريقيا بين الأقوام الذين يعبدون الأصنام واستقرت جمعية الآباء البيض أولا في بسكره والأغواط ومتليلي وقد قتل الطوارق ثلاثة مبشرين عندما غادروا متليلي قاصدين عين صالح فقام الكاردينال لا فجري بتجربة طريق غدامس و غات والنفوذ إلى السودان عوضا عن طريق عين صالح لسلامتها وفي عام 1878وأوصى القنصل الفرنسي بان يكون طريق المبشرين الآخرين ورقلة جنوب الجزائر نتيجة للقلق الذي حدث بين سكان المنطقة أما المبشرون الذين استقروا في غدامس فقد قاموا بالكشف على المرضى وإعطاء العلاج لهم لكسب محبة السكان[1].

ونجحوا في ذلك في البداية أما مهمتهم التبشيرية فاحتفظوا بها من أجل السودان وفي المدة التي استقروا بها في غدامس حاول هؤلاء المبشرون التقرب من الطوارق فقاموا بجولة بين طوارق التاسيلي ناجر ما بين غدامس وغات استمرت 56 يوما عام 1888وحسب مبادئهم قاموا بالكشف على المرضى وإعطاء العلاج دون أي ثمن لتعزيز العلاقات ولكن رحلات بعثة فلاتير واستيلاء فرنسا على تونس أساءت إلى وضعهم في غدامس فبدأ بعض السكان والسلطات ينظرون إليهم على أنهم جواسيس الفرنسيون .

[1] – حسن مرموري، المرجع السابق، ص 125.

وبعد ذلك فشلت هذه البعثة التبشيرية ورجع المبشرين الثلاثة الذين بقوا على قيد الحياة إلى طرابلس في 20 مارس عام 1882 م [1] .

وبذلك فشلت جميع محاولات الفرنسيين في السيطرة على الصحراء وبلاد إفريقيا السوداء عن طريق غدامس وكان وقوف شيوخ الطريقة السنوسية تجاه النفوذ المسيحي وقوفا غير متسامحا ولا سيما الفرنسيين منهم الذين استولوا على الجزائر ولم تسمح الطريقة السنوسية بدخول المسيحة إلى الصحراء وبلاد إفريقيا السوداء .

ج- المرحلة الثانية مقاومة التغلغل العسكري الفرنسي في الجنوب الجزائري:

لقد واجه الاستعمار الفرنسي وكبار ضباطه ظهور المقاومين والانتفاضات الشعبية والثورات في الجنوب الشرقي الجزائري ضده من القوات الاستعمارية بعد محاولة بعثة "فلاتيرس" التي تهدف إلى خدمة الاستيطان الاستعماري نحو الجنوب والصحراء الكبرى، وذلك من أجل الاتصال بزعماء الطوارق في كل من التاسيلي ناجر والاهقار، فقد انطلقت حملة فلاتيرس العسكرية والفنية قصد الشروع في بسط نفودها من اجل تسهيل مهمته الاحتلال والتنصير والتي قوبلت بالرفض لكنه أصر على مواصلة باتجاه غات بليبيا وصول إلى بحيرة منخور بالقرب من منطقة إيليزي بحوالي 40 كلم غربا في عرق اغر غارن وعند علم الطوارق بأخبار وصول تلك البعثة إلى الطوارق وجدت البعثة نفسها محاصرة من كل الجيهات مما أضطر إلى الفرار والعودة إلى ورقلة التي دخلها 17 ماي 1880م وبذلك فشلت محاولته الأولى وبتاريخ 14 ديسمبر 1880 خرج الكولونيل فلاتيرس والذي يكون قد تقلد هذه الرتبة بعد عودته من البعثة الأولى، وكانت هذه هي البعثة الثانية له في نفس السنة انطلاقا من ورقلة نحوا منطقة أمقيد بتاريخ 18 جانفي 1880وصل منطقة أمفيد باتجاه الاهقار مرورا بسبخة أمدرور، والإشارة إلى أن هذه البعثة قد تعرضت إلى حادث مأساوي أدى إلى توقفها قبل إنجاز عملها، وإنهاء مهمتها قبل بلوغ الهدف المحدد، لأن في أثناء وصولها إلى هذه المنطقة، بعث أحد زعماء الطوارق بمجموعة من رجاله ليساعدوا البعثة ويرشدوها على مواصلة سيرها في سهول

[1] – حسن مرموري، المرجع السابق، ص 129.

أمدرور ووصلت إلى أمقيد في 19 يناير 1881 م ووقعت مأساة حقيقية للناجين من الرجال المرافقين لهذه البعثة .[1]

وفي شهر فبراير من نفس السنة وصلت البعثة بئر الكرمة وقعت في كمين عندما حطت رحالها فجأتها مجموعة من قبائل الطوارق بالهجوم عليها وقتل في تلك المعركة قائد البعثة فلاتيرس ومن معه وعلى إثر ذلك شيدا الاستعمار الفرنسي نصب تذكاري بالقرب من بحيرة منخور وهذا عندما شعر ثوار الطوارق بالخطر من جراء زحف قوات الاستعمار الفرنسي نحو الأراضي التي كانوا يرعون فيها دون مراقبة بكل حرية قد تصبح لغيرهم من الدخلاء الجدد، وشعر التجار الغدامسية بفقدان النفود التجاري على طرق واسواق إفريقيا السوداء بعد احتلالها من قبل الفرنسيين .

في سنة 1888-1896 م بدأت القوات الفرنسية في تطويق منطقة الأهقار والتاسيلي ناجر عن طريق بعثات فورلامي فغادر الشيخ أمود تلك المناطق في 1889م نهائيا منطقة الأهقار مع أعوانه وأتباعه من القبائل وفي سنة 1901 م بعثت السلطات الفرنسية وفدا إلى الشيخ أمود قصد المفاوضات من أجل الصلح بين السلطات الفرنسية وبين الطوارق في كل من التاسيلي ناجر والأهقار. وفي سنة 1902 هاجمت القوات الفرنسية على قرية "تيت " التي توجد بالقرب من ضواحي تمنراست فتلقت هزيمة نكراء، واستمر أمود في المقاومة حتى 21 جانفي 1904م فقد تفاجأ الشيخ أمود بخبر مفاده أن السلطان آغ ماستان وضع السلاح ورضي بالمفاوضة بين سكان الأهقار والسلطات العسكرية الفرنسية على إثر ذلك تبعت أغلب قبائل الأهقار نهج سلطانها أغ ماستان[2].

فأعلن أمود من جديد باستمرار الكفاح ومواصلة الجهاد ضد المستعمر وعدم الرضا بأية مفاوضات.

وفي سنة 1908 م حاولت فرنسا الدخول من الأهقار إلى واحة جانت فتصدى لها المقاومون فهزمت وتقهقرت نحو منطقة الأهقار .

---

[1] – البوعبدلي المهدي، مرجع سابق، ص 158.

[2] – موسى اغ مستان هو زعيم قبلي طوارقي لمنطقة الهقار 1905-1920 م قاد معركة تيت ضد فرنسا والتي هـزم فيها فجعلته يقبل التفاوض ودخول فرنسا الى الصحراء الكبرى .http://ar.wikipedia.org/wiki

وفي سنة 1909 م رجعت القوات الفرنسية بعتاد وعدة كبيرة مرة ثانية إلى منطقة جانت على إثر ذلك لجأ الشيخ أمود ومن معه من المحاربين إلى قمم جبال التاسيلي ناجر وعبرها عبر ممرات وعرة ثم ظهر بعد ذلك في الأراضي الليبية محاربا ومقاتلا مع أتباع الطريقة السنوسية في جهادهم ضد الاستعمار الايطالي في واحة الكفره و واو الناموسة ظنا منه أن تضامنه ومساعدته للمجاهدين في ليبيا. قد يساعده في زيادة تعاونهم معه في المستقبل لمحاربة القوات الفرنسية والتخلص من استعمارها لأراضي الجنوب الجزائري وفي سنة 1911 م[1] تحرك الشيخ أمود بمساعدة ودعم أتباع الطريقة السنوسية لمحاصرة القوات الفرنسية في واحة جانت ووقعت معركة شرسة في المكان المسمى إسولان حيث شددوا المقاومين الحصار على مدينة جانت ولم تستمر مقاومة الفرنسيين هذه المدة طويلا، إذ انهارت أمام قوة الثوار وعزيمتهم مما أدى بالفرنسين إلى الفرار من واحة جانت بعد تكيدهم الخسائر المادية والبشرية الكبيرة .

وبقيت واحة جانت مستعصية أمام المستعمرين إلى غاية 1915 .

وفي 1911 رجع الشيخ أمود إلى واحة جانت منتصرا بعدما رأت القوات الفرنسية أن عودة الشيخ أمود بمعنويات عالية وبدعم إضافي من قبل ثوار السنوسية فلا فائدة من بقاء قواتها في واحة جانت فانسحبت تلك القوات الفرنسية ومعها اضرار معتبرة . بعد ذلك لجأ الشيخ آمود من جديد إلى واحة غات ثم إلى الأراضي الليبية في منطقة فواو ناموسة، في سنة 1912 بعد الاحتلال الايطالي لها. وفي سنة 1913 م رجعت القوات العسكرية إلى واحة جانت تحت قيادة الجنرال" لا بيرين "فلم تجد آمود هناك، فبدأت القوات العسكرية الفرنسية في نشر مظالمها تسبب ذلك في تشرد قبائل التاسيلي ناجر . فسمع الشيخ آمود بخبر الظلم والتعسف من قبل القوات الفرنسية إتجاه السكان في كل مناطق التاسيلي ناجر، فقام الشيخ أمود بمهاجمة القوات الفرنسية من جديد واشتبك معها في معركة " إيسين " فهزمت القوات الفرنسية في هذه المعركة وتقهقرت تلك القوات نحو منطقة الأهقار . مدحورة من شدة مقاومة الشيخ أمود . كما علم الشيخ أمود في سنة 1914م بطلب السلطات العسكرية الفرنسية من أغ مستان أن تنصبه سلطانا رسميا

[1] البوعبدلي المهدي، مرجع سابق، ص 133.

على منطقة الأهقار . وتنصيب بيلو قائدا على منطقة تاديكالت عين صالح ان يساعدوها في مفاوضاتها مع الشيخ آمود، فتم اللقاء فمنطقة تين أغيلان "قرب جانت " فرفض آمود رفضا قاطعا ذلك اللقاء التفاوض مما أدى ذلك إلى توتر العلاقة والصداقة بينه وبين موسى أغ مستان. وفي سنة 1915 حدت معركة في واحة جانت وقد شارك في هذه المعركة مجموعة من المقاومين الموالين لقائد المقاومة إبراهيم أغ أبكدة .

وفي سنة 1916 نشئت مقاومة من قبائل الاهقار ضد المتمردين على السلطات الفرنسية، وعاهدت آغ ماستان أن تساعده في المقاومة الأعداء في منطقة الاهقار.

وأما اللقاء الثاني كان في واحة جانت سنة 1920 م وبعد مرور سنة من لقاء عين صالح الذي نظمته قيادة القوات الاستعمارية تلاه لقاء جانت وبالتحديد في مكان المسمى تين غيلان والذي حضره كل من زعماء الاهقار وتوات والتاسيلي ناجر ممثلا في كل من أمنوكال قبيلة إيمنان الشيخ أمود بن المختار وزعيم قبيلة أوراغن إبراهيم أق ابكدة ومواليه أين وقعت حادثة وضع اللثام للفرنسي الذي حضره اللقاء من قبل زعيم الاهقار موسى اغ امستان ليصافحه الشيخ أمود ويلعن معه السلم ونظرا لفطنت هذا المجاهد الذي قطع العهد على نفسه أن لا يصافح بيده يد كافر محتل لبلاده[1] ، وعند تفطنه لهذه عاد الشيخ امود دون مصافحة المحتل الكافر ومن تين غيلان توجه إلى منطقة باوباري بليبيا إلى أن وفته المنية هناك سنة 1928 وسلم الشيخ أمود بعد ذلك إلى إبراهيم اغ أبكده كل الوثائق الرسمية وخاتم المحمية له وأوصاه بقبيلة إيمنان أن يوفر لها الحماية وتكون تحت سلطته اي سلطة إبراهيم أغ ابكدة وبعد وفاة هذا البطل تنقل ما بقي من عائلة ايمنان من فزان إلى جانت سنة 1929 م .

[1] – البوعبدلي المهدي، مرجع سابق، ص 145.

ثانيا: التنصير في الهقار

لقد كثفت فرنسا من ارسال البعثات التنصيرية إلى الصحراء، حيث بدأت أول الاتصالات بين فرنسا والطوارق من خلال البعثات، التي كان ظاهرها خدمة المعرفة العلمية، وباطنها التجسس على مقدرات المنطقة البشرية الدينية والعسكرية.[1]

وكذلك كان تأمين الصحراء لفتح الطريق أمام المنصرين من الاهداف الأساسية، التي تعاونت الكنيسة والسلطة الاستعمارية على تحقيقها، لذلك كلفت الكنيسة وبعثت بثلاث منصرين [2]، وهم الآباء بولميي وبوشار ومينوري، الذين كانوا قد عينوا يوم 1 أكتوبر 1872م في الأغواط، التي كانت المرحلة الأولى للطريق إلى الهقار ثم السودان، واستطاع الآباء أن يستكملوا هدفهم .

انطلقوا ايضا عبر الصحراء ليجتازوا مسار عين صالح، وكان الهدف الاساسي العثور على أفضل طريق يؤدي إلى السودان للبحث واستكشاف الأرض، وضع حوصلة لرحلتهم، ولكنهم ذبحوا بعد عشرين يوما من موعد الإنطلاق في حاسي انفيل جنوب المنيعة على يد مرشديهم الطوارق[3]، وكان ذلك في 21 جانفي 1876م.

أما الكارديال لا فيجري فقد نعاهم بالعبارة التالية " لقد أذاقوا ألم الموت في سبيل الله"، ولكن الرجل لم ينحن ولم يتراجع أمام هذا الفشل، ومنذ بداية 1878م أصدر أمرا على رئيس البعثة الدينية في ورقلة الأب ريشار بأن ينقل إلى غدامس ليستقر هناك[4].

أصبحت غدامس مقرا للبعثة التنصيرية التي يرأسها ريشار [5]. وفي سنة 1879م قام مع زميله كيرمابون بجولة استكشافية ضمن بعثات الآباء البيض للتعرف على اسرار بلاد

---

[1] – الغالي غربي : ملامح من مقاومة الطوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة الرؤية، 1996م، ص 110.

[2] – اسماعيل العربي : الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 110.

[3] – حاج محمد حاج ابراهيم، المرجع السابق ،ص162 .

[4] – غدامس مدينة ليبية تقع في الجزء الغربي من البلاد، تبعد 543 كيلومتر جنوب غرب العاصمة طرابلس، وهي عبارة عن واحة على الحدود التونسية والجزائرية كانت في الماضي محطة رئيسية في طريق القوافل . ينظر : غدامس http://ar.wikipedia.org/wiki

[5] – العربي إسماعيل، المرجع السابق، ص 111.

الهقار بمساعدة خبراء في الصحراء من الطوارق افوغلس، فانطلقت من غدامس إلى وادي تكاملت شمال غرب غات[1]، واستغرقت ستة وخمسين يوما فقط قطفت خلالها البعثة معلومات جغرافية هامة، وربطت علاقات ودية مع بعض قبائل الهقار، خاصة أفوغاسن والإيمانغاستن ريثما تنصب مراكز التنصير عندهم، وقد اعتبر الأب ريشار ذلك فتحا مبينا.

لكن مذبحة الكولونيل فلاترس، التي وقعت في 1881م بعد عودته من بلاد الطوارق سوف تضع حدا مؤقتا لنشاط التنصير في هذا الاتجاه، وازاء هذه الحالة كان من رأي الكاردينال لا فيجري ترك الوقت حتى تستقر الأوضاع وتهدأ النفوس في جنوب الصحراء، ولكن حماس الآباء البيض تغلب على تعقل رئيسهم، حيث راح يتضرع إلى الكاردينال ويرجع أن يسمح له بالذهاب إلى بلاد الطوارق الذين وضع فيهم كامل ثقته، وهكذا أذن له بالسفر فسار رفقة اثنين من القساوسة في شهر ديسمبر 1881م إلى غات.

بعد ثلاث أيام من السير وقع الثلاثة في كمين نصبه لهم نفس الطوارق الذين استقبلوه قبل ذلك بسنة، وكان يعلق عليهم كل آماله، لقد قتل الثلاثة، واشعلت النار في ثيابهم التي كانوا يرتدونها لإيهام الأهالي أنهم لا يختلفون عنهم [2]، وكان ذلك في 20 ديسمبر 1881م، ويرى الدكتور يحي بوعزيز أن ما مهد لمقتل الآباء الثلاثة هو فتكهم لبعثة فلاترس ورفاقه[3]، ولقد أدى مقتل الآباء إلى استدعاء ما تبقى من الآباء المنصرين من غدامس والمناطق التابعة لطرابلس، ورغم التخلي عن مهمة غدامس في سنة 1882م إلا أنه لم يقع التخلي عن مهمة الصحراء، مما جعل الآباء البيض يتركزون في الصحراء الكبرى بدء بالعودة إلى مركز متليلي في 1883م ومزاب 1884م ورقلة في 1891م .

---

[1] – غلت مدينة تقع في الصحراء الليبية الغربية على مشارف الحدود مع الجزائر، وتتبع المدينة محافظة غات وهي عاصمتها، سكان المدينة من الطوارق يتكلمون الأمازيغية نطقا وكتابة بواسطة حروف التيفيناغ، أو الليبية القديمة، والباقي يتحدثون العربية وقليل منهم يتحدثون بلغة الهوسا لأن أصولهم تنحدر من نيجريا والنيجر. http://ar.wikipedia.org/wiki

[2] – العربي اسماعيل، المرجع السابق، ص 112.

[3] – يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي، تمنراست، وزارة الشؤون الدينية، ص10.

وهكذا سقط في الصحراء في ظرف 5 سنوات 1876-1881 م ستة من القساوسة، فلقد كان مصير الكثير من المغامرين المستكشفين لمنطقة الأوربيين لمنطقة الطوارق القتل، حيث لقي الكثير منهم حتفهم، وهذا ما حدث للآباء البيض أيضا الذين حصل لهم نفس المصير، فكان الطوارق لا يفرقون بين المستكشفين ورجال الدين، والذين يرون بأن حلول مناطقهم ما هو إلا تمهيد لدخول القوات الفرنسية فيما بعد، ورغم ذلك فإن الراهب دو فوكو سيصل بلاد الطوارق رفقة القيادة العسكرية، أي في 1904م حينما اقنع هنري لا برين القائد العسكري لمناطق الصحراء صديقة بمرافقته في رحلة استطلاعية إلى بلاد الطوارق، والتي ستكون لها صدى كبير في حياته، حيث استطاع دو فوكو التوغل والاستقرار في منطقة الهقار[1] .

النتائج ورد الفعل:

أ- برج دو فوكو:

هو معلم تاريخي ارتبط بشخصية شارل دو فوكو الذي كان له الدور الوسيط بين اهالي المنطقة والمستعمر الفرنسي كما شهد هذا الحصن أحداث مقتله .

والبرج مستنبط من العمارة المغربية مربع الشكل ذو أربعة زوايا بني كمسكن لهدا لراهب. كما كان له مسكن من حجارة في كهوف الهقار (أسكرم)[2] .

دراسة الوسط :

عكف الاباء لدراسة العادات والتقاليد على شكل بطاقات يدون فيها الاباء عبارات ذات معنى لكي يتسنى لهم ذلك القيام بحصيلة لمعرفتهم للوسط وذلك لمساعدة المنصرين والتلقين والعمل على الافهام عندما يقدم التبليغ الأخلاقي .

[1] العربي اسماعيل، المرجع السابق، ص 114.

[2] – هي سلسله جبلية الواقعة في اقصى الجنوب اقام فيها شارل دو فوكو ملجأ متكون من حجاره تعتبر حاليا مركــزا لسواح الاجانب. http://ar.wikipedia.org/wiki

وتحتوي البطاقات :

- ملاحظة للواقعة المادية نفسها للعادة التي تمت ملاحظتها .
- البطاقة السيكولوجية (النفسية) : تروي بتفصيل المسلمون .
- البطاقة المأثورة الأمثال السائرة....

دراسة التبليغ :

لا يتعلق بدراسة الواقعة المادية مثل الحالة السابقة بل بدراسة الواقعية المادية مثل الحالة السابقة بل بدراسة فكرة دينية عن طريق المحاورات مع المسلمين ويتعلق الأمر بالإدراك والفهم الجيد لنمطهم أولا لكي يتم الوصول الى أن تكون الأفكار المسيحية واضحة ومفهومة لدى عقولهم وأن الأفكار المسيحية تختلف اختلافا كبيرا عن الأفكار الاسلامية [1].

وقد قام الأب فوكا بقسيم الملفات الى ستة أجزاء لتناسب مع ستة بطاقات تحتوي على:

العقيدة اللاهوتية الاسلامية .[2]

تفسير المصطلحات والفروق المعاني بين المصطلحات المسيحية والاسلامية والمفردات اللغة المستعملة في المنطقة .

ما يقوله المسلمون : الأقوال المأثورة والأمثلة السائدة والأشعار والتشبيهات والاساطير والشروحات المختلفة .

كيف يتصرف المسلمين حول فكرة (السلوك السائد)

كيفية توصيل الرسالة الدينية للآباء :

بالرجوع الى دروس الأخلاق للأب أليوم

---

[1]- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 11.

[2] – عيسى او عيسى اسكوتي، المرجع السابق، ص84 .

الدليل التوجيهي للاب دومي رسمان

ببيوغرافيا التي تحوي كتب للاب مارشال والاب فوكا.

ب-منصرو منطقة الهقار:

لم يقتصر الاباء والأخوات البيض على الجانب الخيري كوسيلة لخدمة الجانب التنصيري من خلال القيام بالتدريس والمداولة وتكوين الشباب والفتيات مهنيا بل تعدوه الى المجال التنصيري المباشر مما أدي الى تكوين عدة يتامى على الطريقة المسيحية عملا بالنموذج الدي أقامه الكاردينال لا فيجري في مجاعة 1867-1868م التي أدت الى تكوين العديد منهم ففضلا عن ملجأ لليتامى كما عرفت أيضا بعض المنصرين[1] .

كانت ميادين نشاطهم تقام في حصن دو فوكو حيث كانت تقام فيها تعاليم المسيحية واستقبال الضيوف والتعليم وعلاج المرضى مستفيدين من معرفتهم للهجة المحلية في تعاملاتهم ولاسيما الحفاوة التي استقبلوا بها من طرف شيخهم موسى اغ مستان وقد سعى هدا الأخير في المرحلة الأولى لتعليم الطوارق أشياء كانوا يجهلونها بحكم تواجدهم في منطقة نائية كالخياطة والنسيج وبناء المنازل والزراعة وغيرها لكسب ثقتهم وحبهم .

ثالثا: ردود فعل السكان على نشاط الاباء والأخوات البيض :

طمس الثقافة الدينية النصرانية بالجزائر عامة والتي كانت تهدف الى احياء كتابات القديس اوغستين ,انكار الماضي النصراني ,مواجهة التأثير الاوروبي على بعض المسلمين ,اغلاق العديد من المراكز التعليم المسيحية وتحويلها الى متاحف ومراكز ثقافية.

اختلفت معاملة الأهالي للمنصرين في بداية الأمر من المقاطعة الشاملة لهم باعتبارهم كفارا وقطع أي صلة بالفرنسي الى التعامل التدريجي معهم ليتطور الحال الى

[1] – الغالي الغربي، المرجع السابق، ص 125.

اقامة علاقات معهم تبعا لأعمالهم التي وان رفضت من طرف الكثير وتحفظ عليها البعض الا أنها وجدت التقدير والمطالبة بها من قبل البعض الآخر [1].

فقديما عندما يمس أب أو يهودي خضرة أو أي شيء في السوق بدون أن يشتريها لا يمكن لها أن تباع كما أنه لو بادر أحد الاباء البيض بالتجول في صحراء فيتهربون منه .

ويقول شارل دو فوكو في كتابه انه مهما كنت بينه وبين الطوارق علاقات وديه ومعاملات حسنة إلا انهم وقت الصلوات الخمسة يتفرقون ويجتمعون بعدها من جديد .

[1] – الشيخ أبو عمران، شارل دو فوكو، المرجع السابق، ص 160.

خاتمـــــة

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات اوجزنها كالآتي:

إن استعمال كلمة التبشير والتنصير مختلفتان بحسب أصل الكلمة، فالتبشير لفظ لا يغلب استعماله إلا للخبر رغم أهدافه المعلنة: في حين إن التنصير بحسب أصلها يرجع إلى لفظ النصارى الذي أطلقه الله تعالى عليهم في القران الكريم، ونظرا لتميز الجزائريين بدينهم الإسلامي.

أن تغيير الدين الى ملة أخرى غير الإسلام كديانة النصرانية يعتبر تنصيرا وبالتالي هذا المصطلح على العاملين على نشر المسيحية في أوساط السكان.

لقد لعب الكاهن دورا كبيرا في التنصير فتعيينه مرشدا دينيا لغرفة ميلي صاحبة تنصير رسمي مع أبيها اوغستين دليل على المكانة التي يحظى بها، لكن دوره سيكون بشكل كبير في تونس بعد مغادرته الجزائر.

وتعتبر سنة 1838م تاريخ نشأة الاسقفة بتعيين الاسقف دوبوش على راسها، والذي قام بأعمال كبرى في سبع سنوات، لم يستطع خليفته انطوان بافي القيام بها طيلة عهده الذي دام 20سنة ، لكن بافي استطاع إدخال اليسوعيين الى بلاد القبائل، والتي سيعتبرها لا فيجري مجالا خصبا للتنصير خاصة من خلال هذه الفرقة التي سيكون لها دور كبير في عهده .

لقد كانت جهود الكاردينال تنصب حول سياسة الإدماج للأهالي عن طريق التنصير مما جعله محل تحفظ من طرف نابليون الثالث والحاكم العام ما كماصون بل حتى معارضة من القيادة العسكرية التي لا تخشى فقط من الثورات بل لرؤيتها في توغل رجال الدين في أوساط الأهالي يفقدها التشريفات التي يحصل عليها قادتها عند استلامهم على المناطق .

غير انّ عهد الحاكم العام دوقي دون هو الذي شجع علانية الكاردينال في عمله التنصيري الذي اعتبر بلاد القبائل خير هدف للتنصير، والذي سيبرز دوره بشكل اكبر في مجاعة عام 1867-1868 م الذي قام بالتقاط اليتامى من الاطفال والاهالي رغم علم السلطات بذلك .

لقد كانت مجاعة عامي 1867-1868 م اشد ما تكون على الاهالي الجزائريين الذين لم يكونوا يحصلون على أي دعم الا ما تعلق بعملية التنصير، بل تجلى في اليتامى دون غيرهم فبهم تكونت قوى المسيحية ذات طابع أهلي، وقد حصل لا فيجري على الدعم الكبير في الجزائر وفي الخارج (البابا) ، على هاذين النموذجين من القريتين لما حققتاه من نجاح في تكوينهما يتامى على الطريقة النصرانية .

لقد مثلت منطقة بلاد القبائل منطقة لها خصوصيتها في نظر السلطات الفرنسية حيث تعاونت مع رجال الدين على بسط نفودهم في منطقة باسم الأعمال الخيرية لكن رد سكان القبائل كان بالرفض على سياسة التنصير، وهو ما تجلى في رد الأوساط العسكرية فيما بعد حين بدأت الاضطرابات تعم بلاد القبائل، مما سيجعل الكنيسة تفكر في حلول اخرى كتركيز التنصير عليها خلافا للمناطق الجزائرية الاخرى لدواعي أن البربر كانوا على الديانة المسيحية قبل الفتح الاسلامي، وكذلك من خلال الدراسات الاجتماعية، التي بينت حفاظ هذه المنطقة على تقاليد مند القدم تبرز بعض الملامح كرموز الصليب على جبهات النساء عند تزينهن .

كان لتأسيس فرقة الآباء البيض دور في التقدم التنصير ليس في الجزائر فحسب وانما في صحرائها وفي افريقيا السوداء، مما يجعلها منظمة مرتبطة بالكنيسة الافريقية ببوزريعة ، وبالتالي فان هذه الجمعية فرنسية بالأصل أسسها الأسقف لا فيجري في الجزائر، وامتد نشاطها الى خارج الجزائر، اختلفت عن المنظمات المسيحية الوافدة الى

الجزائر قبل وبعد احتلالها، وتميزت عنها بكثير من الصفات مما جعل أمدها يطول كثيرا وبقيت في الجزائر حتى بعد تحقيق استقلالها .

لقد اعتبرت الأغواط أولى ، محطات تنصيب المهمات التنصيرية في الصحراء بدءا بمنظمة القديس فانسان دو بول ثم اليسوعيين، ونظرا لأهميتها باعتبارها ممرا لقاصدي الواحات الجنوبية أنشأت بها أول أسقفية للصحراء حتى أصبحت مقرا للمحافظة الرسولية على الصحراء لتعهد إلى الآباء البيض، الذين امتد نشاطهم فيها وفي الواحات الصحراوية، كما اعتبرت المرحل الأولى للطريق الى الهقار والسودان ، ومن هنا بدأت البعثات الاستكشافية للآباء البيض إلى الواحات الصحراء .

كان من نتائج البعثات الاستكشافية للآباء البيض أن الصحراء في ظرف خمس سنوات 1876-1886م مسك العديد منهم، فلقد كان مصير الكثير من المغامرين والمستكشفين الأوربيين لمنطقة الطوارق القتل، وهدا ما حدث للآباء البيض أيضا الدين حصل لهم نفس المصير، فكان الطوارق لا يفرقون بين المكتشفين ورجال الدين ، والذين يرون بأن حلول مناطقهم ما هو الا لدخول القوات الفرنسية فيما بعد، ورغم دلك فان دو فوكو سيصل بلاد الطوارق رفقة قيادته العسكرية اي في سنة 1904 م حينما أقنع لا بيرين صديقه بموافقته ثم استقرار في بلادهم.

لقد مثل دو فوكو عندما كان في الهقار السلطة الدينية فهو من المساهمين في تثبيت النفود الفرنسي في الجنوب ويعتبر ملجأ الدي أنشاه على جبل الأسكرام وديره الدي أنشأه في تمنراست وضريحه الموجود في المنيعة مزارا لكل سائح، الى تلك المناطق .

لقد حاول لا فيجري من خلال انشاء فرقة اخوان الصحراء المسلحين الدينية الى اخضاع ما تبقى له من مناطق الصحراء، بالقوة بعد عجز الاباء البيض الوصول اليها كما حاولت السلطات الفرنسية استعمالها للسيطرة على اقليمي توات وقورارة وما اختياره لبسكرة سوى لأهميتها الدنية من واحات الصحراء، ورغم الآمال التي علقها على هده الفرقه الا أن السلطات الفرنسية قامت بحلها لتخوفها من ردود أفعال السكان المتمثلة في القيام بأعمال جهادية وبالتالي فان الكاردينال وهو في أواخر حياتيه عاش على صدمة هذا القرار .

البيبليوغرافيا

- **البيبليوغرافيا :**

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1- الوثائق:

أ- باللغة العربية:

1- مونار أنري: جواب عن التقرير المؤرخ في 14 ماي 1923 م فيما يتعلق بتشكي سكان مزاب عن آداء الخدمة العسكرية، مخطوط بمكتبة النور، بنورة (غرداية)، الجزائر تحت عنوان : دفتر الجماعة مجلس الشورى، رقم 342، 1924م.

ب- باللغة الأجنبية:

1- أرشيف غير مصنف بمكتبة البحث بالمركز الثقافي للوثائق الصحراوية ، يحتوي مجموعة وثائق ، مكتوب على علبة الارشيف:

2-Ghardaia, école des Pères Blancs 1884- 1976 . 1324.

3- Centre Culturel et de Documentation Saharienne, Ghardaïa, Fascicule numéro ,11 000 0 23 01 :doc: X 160 G, Marie Alma: La mémoire de Soeur Marie Aima Sage- femme de Ghardaia, Dossier établi le 21 Mai 1997 par Soeur Marie Thérèse Freudenrieche

4- Centre Culturel et de Documentation Saharienne, Ghardaïa, fascicule numéro 11 000 0 23 01 :Doc: X 160 G Soeur Blanche: Quelque Souvenir sur le poste do Ghardaia.

2- المصادر:

أ- باللغة العربية:

1- أجرون شارل روبير: المجتمع الجزائري في مخبر الأيدولوجيـــة الكولونياليـــة، ط2، ترجمة وتقديم وتعليق:

2- الحاج أمحمد عمر بن عيسى بن ابراهيم: بيان حقيقة عن التجنيد الاجباري ومـــا نتج عنه بوادي مزاب، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـــ/1932م.

3- غيرستر جورج :الصحراء الكبرى، ط1، تعريب :خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1961م

4- المراجع:

أ-باللغة العربية:

1- أبو اليقضان ابراهيم: من دسائس المبشرين، ط1، مكتبة الظاهري، سلطنة عمان، 1414ه/1993م

2- إدريس نعيمة : الحوار المسيحي الاسلامي بين المصداقية والتشكيك دراسة مقارنة موازنة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشروالتوزيع، الأبيار الجزائر، 1432ه/2011م.

3- بقطاش خديجة: الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871م، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، منشورات دحلب، الجزائر، 2007م.

4- بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، نشر المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995م.

5- خالدي مصطفى وفروخ عمر: التبشير والاستعمار في البلاد العربية عرض لجهود المبشرين التي ترمي الى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي، ط5، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، 1973م.

6- زكرياء مفدي: أضواء على وادي ميزاب ماضية وحاضرة، دراسة وتحقيق : ابراهيم بحاز، ط1، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م.

7- زوزو عبد الحميد: نصوص ووثائق في تاريخ المعاصر 1830-1900م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008م.

8- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، مج6، ط1، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، 1998م.

9- العربي اسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر, 1983م .

10- مرموري حسن: التوارق بين السلطة التقليدية والادارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010م .

11- عميراوي احميدة وآخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916م، مطبعة الهدى، عين مليلة الجزائر، 2010م .

12- مياسي ابراهيم : الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934م، دار هومة، الجزائر، 2005م .

13- مزيان سعيدي : النشاط التنصيري للكاردينال لا فيجري في الجزائر 1867-1892م، ط1، الجزائر، 2009م .

14- وعلي محمد الطاهر : التعليم التبشيري في الجزائر من 1830الى 1904م دراسة تحليلية، منشورات دحلب، المؤسسة المطبعية للفنون الجميلة، الرغاية الجزائر، 2013م

4 – الأطروحات :

الحاج امحمد الحاج إبراهيم : نشاط المؤسسة التنصيرية في الصحراء الجزائرية 1868-1916م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث المعاصر، إشراف أ.د / فاطمة الزهراء قشي، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منثوري قسنطينة، 1433ه/2009م .

5-**المقالات:**

أ-باللغة العربية:

1-البعبدلي المهدي: الاحتلال الفرنسي للجزائر والمقاومة الشعب في ميدان الروحي، مجلة الاصالة، ع8، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1392ه/1973م .

2-الجنحاني الحبيب : حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر، مجلة الأصالة، ع16، مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1393ه/1973م .

3-الشيخ أبو عمران: شارل دو فوكو في تمنراست 1905-1916، مجلة الثقافة، ع76، س13، أوت 1983م، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1923م.

3-الشيخ أبو عمران: الاسقف لا فيجري ونشاطه التبشيري في واد الشلف 67-1892م، مجلة ثقافية تصدرها وزارة الشؤون الدينية ، الملتقى الرابع عشر للفكر الاسلامي، الجزائر، 1400ه/1980م .

4-الغالي غربي: ملامح من مقاومة التوارق للتوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مجلة الرؤية، ع1، 1996م.

5-الكعاك عثمان: التبشير وخطره على التماسك الاجتماعي للمسلمين، ندوة الأصالة، ع16، س3, مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1391ه/1973م.

6-**الملتقيات:**

1-البوعبدلي المهدي: آثار التبشير المسيحي في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي وبعده، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي تيزي وزو، مج3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1395ه/1975م .

2-بوعزيز يحي: اهتمامات الفرنسيين استفادتهم من طرق القرق بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها، الملتقى الثالث عشر للفكر الاسلامي، تمنراست، وزارة الشؤون الدينية .

3-الكعاك عثمان : التبشير والتخطيط التبشيري، الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي تيزي وزو، مج 3، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة الجزائر، 1395ه/1975م .

7-**المعاجم :**

1-البعلكي منير المورد قاموس انجليزي -عربي، ط13، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1979م .

2-الزين محمد بسام رشدي : المعجم المفهرس لمعاني القران الكريم، مج1 أ-ص، ط2، دار الفكر، دمشق سوريا، 1417ه/1996م .

عبد الباقي محمد فؤاد : المعجم المفهرس لمعاني القران الكريم بحاشية المصحف الشريف، دار الحديث، القاهرة مصر، 1422ه/2001م .

3-الفيروز ابادي : القاموس المحيط، ج1، توزيع مكتبة النوري دمشق سوريا .

4-بن منظور جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الانصاري الافريقي المصري المتوفى سنة 711ه : لسان العرب، تحقيق : عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل ابراهيم، مج5ر-ز، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان 2009م .

8-**دوائر المعارف :**

1-وجدي محمد فريد : دائرة معارف القرن العشرين، مـــج 2، ط3، دار المعرفـــة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1971م.

9- **المقابلات :**

مقابلة مع مدير متحف البلدي بالأغواط السيد: الحاج قدور محمد بالمتحف، يوم 05 فيفري 2017م على الساعة 10:00 صباحا.

10- **المواقع :**

1-http/ar.wikipedia.org./wikik19:35 تاريخ الإطلاع يوم 2017/04/25 على الساعة

2-www.alger-roi.fr

3-www.cairn.info

4-www.delcampe.net

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

اهداء

كلمة شكر

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ-هـ

الفصل الأول: تطور الحركة التنصيرية في الجزائر قبل احتلالها

أولا : مراحل تطور الحركة التنصيرية قبل وبعد 1874 م..... 07

أ- ماهية التبشير والتنصير..... 07

ب - ميلاد أسقفية الجزائر والتنصير..... 11

ج -الجمعيات المسيحية التي توافدت إلى الجزائر بعد الاحتلال..... 13

ثانيا :نشاط الكاردينال لا فيجري في الجزائر"1867-1892 " م..... 16

أ- تعريف بالكاردينال لا فيجري وعلاقتها بالتنصير..... 16

ب- دور لا فيجري التنصيري في مجاعة (1867-1868)م..... 19

ج- التنصير في منطقة القبائل 22

ثالثا : نشأة جمعية الآباء والأخوات البيض..... 25

أ- التعريف بجمعية الآباء والأخوات البيض 25

ب-تنظيم الآباء والاخوات البيض 27

ج- ميادين نشاط الآباء البيض 30

الفصل الثاني: احتلال الصحراء وتنصيرها

أولا : امتداد التنصير إلى الصحراء 36

أ- انشاء النيابة والمحافظة الرسولية للصحراء 36

ب- نشاط الآباء والاخوات البيض بالأغواط 39

ج- نشاط الآباء والأخوات البيض بورقلة 40

ثانيا : تطور التنصير في الجنوب الشرقي للصحراء 43

أ- انشاء لا فيجري لفرقة إخوان الصحراء المسلحين في بسكرة 43

ب- شارل دي فو كو وسيلة للغزو الروحي والعسكري 44

الفصل الثالث: وصول التنصير الى العقار بعد احتلالها

أولا : احتلال الفرنسي لصحراء تحديدا (منطقة العقار)..... 50

أ- الاهتمامات الاستعمارية للصحراء..... 50

ب- مراحل الاحتلال الفرنسي لمنطقة العقار 54

ج- المرحلة الثانية مقاومة التغلغل العسكري الفرنسي في الجنوب الجزائري 55

ثانيا: التنصير في العقار 59

أ- برج دو فوكو..... 61

ب- منصرو منطقة العقار..... 63

ثالثا: ردود فعل السكان على نشاط الاباء والأخوات البيض 63

خاتمة..... 66

البيليوغرافيا..... 70

الملاحق..... 77

فهرس المحتويات..... 109